مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

من سبَّ معاوية

١٤٢٣

عام جديد ووقفة مع النفس

خشوع المصلين... بين يدي رب العالمين

التبرك السني... والتبرك البدعي

السنة الواحدة والثلاثون - العدد الأول - المحرم ١٤٢٣ هـ - الثمن ١٠٠ قرشا

جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

مجدي عرفات

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

رئيس مجلس الإدارة محمد صفوت نور الدين

في هذا العدد

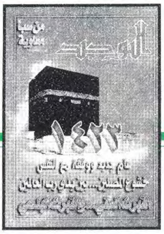

○ الافتتاحية : الرئيس العام : كلمة إنصاف ٢

○ حديث الشهر :

د. جمال المراكبي : خشوع المصلين بين يدي رب العالمين ٥

○ باب التفسير : د . عبد العظيم بدوي : سورة المجادلة [٢] ٨

○ باب السنة : الرئيس العام : جهاد معاوية ، رضي الله عنه ١٢

○ من سب معاوية!! بقلم : أسامة سليمان ١٧

○ كلمة التحرير : رئيس التحرير : عام جديد ووقفة مع النفس ١٩

○ حوار التوحيد مع د . علي بن محمد الفقيهي : إعداد جمال سعد ٢١

○ صور من التبرك السني والبدعي [٢] معاوية محمد هيكل ٢٦

○ الإعلام بسير الأعلام : إعداد مجدي عرفات ٢٩

○ الصهيونية والمؤامرة على فلسطين : د. الوصيف علي حزة ٣٢

○ واحة التوحيد ٣٦

○ أقوال واعتقادات تخالف العقيدة [١] : د. طلعت زهران ٣٨

○ أطفال المسلمين ، كيف رباهم النبي الأمين : جمال عبد الرحمن ٤٠

○ الأسرة المسلمة بين قوامة الرجل وطاعة المرأة : حسين الدسوقي ٤٣

○ قصيدة : تحية العام الجديد : نجاتي عبد الرحمن ٤٥

○ باب الفتاوى : يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام ٤٦

○ فتاوى لسماحة الشيخ ابن عثيمين ٤٨

○ اهجروا السباب يا أولي الألباب : صلاح عبد الخالق ٥١

○ تحذير الداعية من القصص الواهية : علي حشيش ٥٣

○ اقرأ من مكتبة المركز العام : علاء خضر ٥٨

○ ولا تقربوا الزنى : أيمن محمد الصيحي ٦١

○ بين السنن والمبتدعات في خرافات النساء وبدعهن أيام النفاس : محمد الشقيري ٦٢

○ الأخلاق في الإسلام [٢] : عاطف التاجوري ٦٤

○ وقفات مع القصة في كتاب الله : بقلم عبد الرازق السيد عيد ٦٦

○ من روائع الماضي : التضامن الإسلامي : الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله ٦٩

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيـــس التحرير جمال سعد حاتـم   مدير التحرير الفني حســين عطا القــراط

السلام عليكم

صفات المتقين !!

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل، فقال: «يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصد الأمل، ولزوم الإيمان، والفقه في القرآن، وحق الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك عن أن تسبّ حكيمًا، أو تكذب صادقًا، أو تطيع آثمًا، أو تقصي إمامًا عادلاً، أو تفسد أرضًا».

ووصف أمــيــر المؤمنين علي رضي الله عنه المتقين، فقال: المتقون هم أفضل أهل الفضائل، نطقهم الحق، وملبسهم الاقتصاد، عرضت لهم الدنيا فتركوها، ومن علاماتهم أنك ترى الواحد منهم له قــوة في دين، وحــزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في علم، وعلم في حلم، وخشوع في عبادة، وصبر في شدة، وطلب في حلال، ونشاط في هدى.. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه.

اللهم اجعلنا من المتقين، واحشرنا معهم.

الرئيس العام

التحريـــــر
٨ شارع قوله ـ عابدين ـ القاهرة
ت : ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات :
ت : ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :
مؤسسة الأهرام
وفـروع أنصـار
السنة المحمدية

ثمن النسخة :
مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمــارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمــريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

المراسلات
باسم المشرف العام

المجـــلـــة Mgtawheed@hotmail.com
الرئيس العـــام Safwat noreldin@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

افتتاحية العدد

كلمة إنصاف!!

بقلم: الرئيس العام

التوحيد

الحمد لله يحب الحق وأهله، ويكره الباطل وأهله، والصلاة والسلام على نبيه، علم صحابته التمسك بالحق والدعوة إليه، فكان الصحابة خير مثال في أقوالهم وأفعالهم، يعملون بالحق ويتواصون به، ويرجعون إليه إذا عرفوا أنهم على غيره، حتى كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه خطابًا في القضاء، جاء فيه: «إن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل».

في مقال في عدد أسبوعي من جريدة الجمهورية قال كاتبه: «... وجعل معاوية خطبة الجمعة قبل الصلاة لأول مرة، وما زالت حتى اليوم، وكانت من قبل بعد الصلاة ولكنه لاحظ أن الناس إذا صلوا انصرفوا لئلا يسمعوا السب والقذف». اهـ.

بهذا المستوى تنشر المقالات في صحيفة واسعة الانتشار يقرأها العامي قبل المتخصص، وإن الدهشة لتأخذني، ألم تمر على مراجع مسلم يعلم أن الجمعة لها خطبة قبلها منذ بدأ المسلمون يصلون بالمدينة قبل هجرة النبي ﷺ؟

أليس هذا تشكيكًا في أكبر ثوابت الشرع؟ حيث إن خطبة الجمعة قبل الصلاة من يوم بدأت وإلى اليوم لم يتغير موضعها، وذلك من المعلوم من الدين بالضرورة، ومن المتواتر نقلاً، والمستفيض انتشاره عملاً، لا أريد أن أطيل التعليق، فالأمر يعني أن من كتب ذلك أفحش الخطأ، وإن أردت أن ألتمس له العذر قلت: إن مروان بن الحكم خطب العيد قبل الصلاة، والحديث في «صحيح مسلم»، وأنكر عليه الناس ذلك، فمن الذي جعل مروان هو معاوية، وجعل العيد هو الجمعة؟ ولم يستمر ذلك الأمر، فالعيد على مر العصور خطبته بعد الصلاة إلى اليوم، فتأمل أيها القارئ الكريم كيف تنشر المقالات الطويلة، كلها أباطيل، ليس فيها شيء من الصواب، وكأن الكاتب لم يقرأ سورة الجمعة في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ٩- ١١]. وأن قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال بعدها: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ تدل أن رسول الله ﷺ كان قائمًا يخطب قبل الصلاة، وأن الذين انفضوا إنما انفضوا في أثناء الخطبة وتركوا النبي ﷺ في خطبته؛ لأنه لو كانت الخطبة بعد الصلاة فالله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

ومثل هذا الخلط قول الكاتب في أول مقاله: معاوية واحد من دهاة العرب، وصفه عمر بن الخطاب بأنه كسرى، وقال عنه الرسول ﷺ: «لا أشبع الله بطنه». ويبدو أن الإسلام لم يكن استقر في عقله ووجدانه على نحو ما حدث لصحابة رسول الله ﷺ، حتى أنه سأل النبي ﷺ

بعد أن أسلم بأي شيء غلبتني يا محمد، ورد عليه: بالله غلبتك يا أبا سفيان. اهـ!!

والكلام في صدره عن معاوية، وفي آخره: يا أبا سفيان. فتأمل هذا هل هو التحقيق العلمي أم التلفيق والتخبط في جريدة واسعة الانتشار؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله!! وهل قول عمر بأنه كسرى مدح أم ذم، فما قالها عمر إلا إعجابًا بمعاوية الذي نافس ملوك الأرض فسبقهم، أما: «لا أشبع الله بطنه» فقد ساقها مسلم في «صحيحه» في مناقب معاوية رضي الله عنه، حيث أوردها بعد حديث النبي ﷺ: «اللهم إنما أنا بشر، فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه- وليس لذلك أهلاً- فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة».

فتدبر كلام أهل العلم ليتبين لك الحق ولتعلم أن هذه هي المنحة الإلهية؛ أن صار معاوية رضي الله عنه بدعوة النبي ﷺ له يتناسب حاله ذلك مع المُلك الذي صار إليه، حيث إن المَلك يحتاج أن يُكرم الناس بتقديم الطعام لهم، ويزيد في إكرامهم بأن يأكل معهم، هكذا فسر أهل العلم أن ذلك من مناقب معاوية رضي الله عنه. فيقول ابن كثير: وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.

ويقول الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «لا أشبع الله بطنه» فسره بعض المحبين قال: لا أشبع الله بطنه؛ حتى لا يجوع يوم القيامة؛ لأن الخبر عنه أنه قال: «أطول الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة».

وهذا تأويل نسبه الذهبي رحمه الله لبعض المحبين وإن كان تأويلاً ركيكًا، لكنه ليس كأقوال الحاقدين الذين يتخبطون ويلفقون بالباطل.

وتتبع المقال الطويل يحتاج إلى صفحات كثيرة، لكن يكفي ذلك؛ إشارة إلى أن هذا المقال ليس من قبيل حرية الرأي ولا من قبيل التحقيق العلمي، وليعلم الكاتب والناشر أنه سيلقى ربه فيسأله، فإما أن يتوب، ونرجو له التوبة، ونرجو الله أن يقبل التوبة، وإلا فليُعد الجواب يوم يلقى ربه، يوم يختم على أفواههم وتنطق الأعضاء بما كانت تعمل، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وإنه لقريب، وإن طال العمر.

لذا أرى لزامًا عليّ أن أكتب طرفًا من أقوال أهل العلم المعتبرين في معاوية بن أبي سفيان، مشيرًا إلى فضائله وهي دالة على فضل معاوية بن أبي سفيان، وعلى فضائل الصحابة إجمالاً:

إسلام معاوية!!

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يريد اللحاق بالنبي ﷺ، ولكنه كان يخاف أباه، فما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح.

قال معاوية: لما كان عام الحديبية وصدوا رسول الله ﷺ عن البيت وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت لأمي، فقالت: إياك أن تخالف أباك. فأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني لمصدق به، ودخل مكة عام عمرة القضية وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بإسلامي فقال لي يومًا: لكنْ أخوك خير منك وهو على ديني، فقلت: لم آل نفسي خيرًا، وأظهرت إسلامي يوم الفتح، فرحب بي النبي ﷺ وكتبت له.

وقد حدّث معاوية عن النبي ﷺ، وله في البخاري ثمانية أحاديث، وفي مسلم تسعة، واتفقا منها على أربعة أحاديث، والمشهور أن له في كتب السنة مائة وخمسين حديثًا.

وفي «مسند أحمد» عن العرباض أن النبي ﷺ قال: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب». [وهو حديث حسن].

وعند الترمذي بسند حسن مرفوعًا أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به». [صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٦٩)]. وفيه عن عمير بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن معاوية: «اللهم اهد به».

وقد ذكر الذهبي في ترجمته جملة من الأحاديث في فضائل معاوية رضي الله عنه؛ آخرها: عن جبير بن نفير أن رسول الله ﷺ كان يسير ومعه جماعة، فذكروا الشام، فقال رجل: كيف تستطيع الشام وفيها الروم؟ قال: ومعاوية في القوم وبيده عصا، فضرب بها كتف معاوية وقال: «يكفيكم الله بهذا». وقال الذهبي: هذا مرسل قوي، ثم قال: فهذه أحاديث مقاربة.

وفي «مسند أحمد» أن معاوية أخذ الإداوة وتبع بها رسول الله ﷺ فرفع رأسه إليه وقال: «يا معاوية، إذا وليت أمرًا فاتق الله واعدل»، قال معاوية: فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ حتى ابتليت.

وعن أبي الدرداء قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة

برسول الله ﷺ من أميركم هذا. يعني معاوية.
وفي البخاري قال ابن عباس رضي الله عنه- يصف معاوية-: إنه فقيه. وعند عبدالرزاق عن ابن عباس قال: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية.

قال الذهبي: حسبك بمن يؤمُّره عمر ثم عثمان على إقليم وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضى الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه وله هنات وأمور، والله الموعد، وكان محببًا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة والخلافة عشرين سنة ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك.

ولما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيًا إلى بلاد الحجاز. قال: يا أمير المؤمنين، أنا بأرض جواسيس العدو فيها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر: يا معاوية، ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقًا إنه لرأي رأيت. ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أديت. قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟ فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه؛ أي وليناه هذه الولاية والأعمال وقيادة الجيوش.

نصيحة أبي سفيان لمعاوية

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: لما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان الشام بعد موت أخيه يزيد، قال أبو سفيان: يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله وقصر بنا تأخرنا فصاروا قادة وسادة وصرنا أتباعًا، وقد ولوك جسيمًا من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد، فنافس، فإن بلغته أورثته عقبك. فلم يزل معاوية نائبًا على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرس[1] وسكنها المسلمون قريبًا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائمًا على ساق في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها. فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين عليّ ما كان لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية لا على يديه ولا على يدي عليّ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب إليه معاوية: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة. فلما انعقدت الكلمة على معاوية وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، لم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى وفاته سنة ٦٠هـ والجهاد في بلاد العدو قائم وكلمة الله عالية والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو.

هذا أمير المؤمنين، الخليفة الذي أعز الله به دينه، وأعلى به كلمته، يتنقصه اليوم من لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، بل يجهل أبسط الأمور فيخلط، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الهوامش

(١) هكذا كان يكتبها علماء المسلمين قديمًا بالسين، وإن كان اليوم يكتبونها بالصاد، وهي كلمة رومية ؛ تعني في لغة العرب: النحاس الجيد.

بقلم د. جمال المراكبي

خشوع المصلين بين يدي رب العالمين

التوحيد

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

الخشوع روح الصلاة ولبها، وصلاةٌ لا خشوع فيها كجسد ميت لا روح فيه، وقد مدح الله المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس، فجعل أول مراتب فلاحهم الخشوع في الصلاة إعلامًا بأن من فقد الخشوع فهو بمنأى عن الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾، والذكر ضد الغفلة، فمن غفل في صلاته لا يمكن أن يكون مقيمًا إياها لذكره تعالى، والخشوع في الصلاة يتضمن حضور القلب فيها واستحضار عظمة الرب سبحانه، وهذا من تمام الذكر الذي هو ضد الغفلة.

قال السعدي: والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرًا قربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يُكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. [«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»].

وهذا بخلاف ما يزعم بعض المتصوفة من استحالة الخشوع، وقد ذكر الشعراني في «طبقاته» قول الدسوقي: لو خشع قلبك يا ولدي في صلاتك لاختلط عقلك وذهب ولم تقدر أن تقرأ سورة واحدة من كتاب الله تعالى في تلك الحضرة، فإن موسى عليه السلام خر صعقًا يتخبط كالطير المذبوح حين تجلى له مقدار جزء واحد من تسعة وتسعين جزءًا من سم الخياط، وهذا التجلي واقع لكل مصلٍّ لو عقل كما عقل موسى عليه السلام. اهـ.

فانظر كيف جعل الصوفية الخشوع مرادفًا للجذب والجنون، ونسوا أن سيد الخاشعين محمدًا ﷺ قد حث على الخشوع ورغب في تحصيله، وحققه في صلاته وفي سلوكه.

والخشوع في الصلاة من أوجب الواجبات فيها، فمن لم يأت بأدنى درجات الخشوع في صلاته وهو الاطمئنان في أركانها فلا صلاة له، وقد أمرنا النبي ﷺ بالسكينة والوقار واستحضار أسباب الخشوع عند إتيان الصلاة، فما باله إذا استقبل القبلة قائلاً: الله أكبر. ففي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا». وفي رواية: «فلا يسع إليها أحدكم، ولكن ليمش وعليه

السكينة والوقار». [مسلم (ح٦٠٢)].

وقال ﷺ: «اسكنوا في الصلاة». [مسلم (ح٤٣٠)]. وقال ﷺ للمسيء في صلاته: «صلّ فإنك لم تُصلّ». ثم علمه النبي ﷺ كيف يقيم الصلاة وكيف يحقق أركانها، ويقيم صلبه في الركوع والسجود والاعتدال، فيكون مطمئنًا في صلاته كلها.

وقد أمر النبي ﷺ المصلي بالخشوع وحث عليه فقال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله». [مسلم (ح٢٢٨)].

وكان ﷺ يقول: «يا فلان، ألا تُحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي». [مسلم (٤٢٣)]. وقال: «فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري». [البخاري (ح٤١٨)].

وقال ﷺ: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه». [أبو داود].

وحذرنا النبي ﷺ من ترك الخشوع، وبيّن أنه يُرفع، فقال: «أول علم يُرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا». [الترمذي (ح٢٦٥٣) موقوفًا].

ورُوي عنه ﷺ: «الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين، وتخشع وتضرع وتمسكن وتذرع. وتُقنع يديك، ترفعهما إلى ربك مستقبلاً ببطونهما وجهك وتقول: يا رب، يا رب، ومن لم يفعل ذلك فهي خداج». [الترمذي (ح٣٨٥)، باب ما جاء في التخشع في الصلاة].

والمراد أن يُطيل المصلى التوسل والدعاء والإلحاح والرجاء، عسى الله أن يقبل منه.

وقال ﷺ: «فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت». [الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري بسند حسن صحيح].

والالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان؛ أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت العبد بقلبه أو ببصره أعرض الله تعالى عنه، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

ومما يُعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: الاهتمام بأمر الخشوع والحرص على استحضاره، وذلك بالتفكر في عظمة ذي الجلال والإكرام، ومراقبة الله عز وجل واستشعار الوقوف بين يديه، ومناجاته، ومشاهدة منّة الله تعالى وفضله في الهداية والتوفيق، ومشاهدة عيب النفس وتقصيرها، والحرص على الاستغفار من ذلك التقصير.

ثانيًا: تعلق القلب بالصلاة، باعتبار أن الصلاة دعوة لملاقاة الملك ومناجاته، وأنها تورث محبة ذي الجلال والإكرام، فكلما انصرف المصلي من صلاة عاوده الحنين والشوق إلى لقاء الله، ولهذا شُرع لنا تكرار الصلاة، فإذا انصرف المصلي من الفريضة، شَرَعَ في النافلة، وإذا انصرف من النافلة شَرَعَ في الفريضة، أو شَرَعَ في انتظارها فيتعلق قلبه بالصلاة، وينتظر الصلاة بعد الصلاة. قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؛ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». [مسلم].

وقال رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلٌ قَلبُهُ مُعَلقٌ بالمساجد». [متفق عليه].

ثالثًا: حسن التهيؤ للصلاة والاستعداد لها، وذلك ثمرة من ثمرات تعلق القلب بالصلاة،

فيتشوق المصلي إلى سماع الأذان باعتباره دعوة من رب العالمين للقاء، ويشرعُ في ترديد الأذان طالبًا الحول والقوة والمدد من الله، ثم يحرص على الدعاء بعد الأذان، ويُسبغ الوضوء، ويذكر الله قبله وبعده ليفتح الله له أبواب الجنة، ويحرص على السواك عند الوضوء وعند الصلاة، ويشرع في التوجه للمسجد للصلاة في الجماعة، بعد أن يؤدي النافلة في بيته، ويحتسب الخطا إلى المسجد، ويمشي بسكينة ووقار، ويحرص على الصف الأول، وتسوية الصفوف، ويتهيأ كذلك بأخذ الزينة وستر العورة والتطيب والتجمل، ويتهيأ بعد ذلك للدخول على الملك ومناجاته.

رابعًا: الاطمئنان في الصلاة، واستشعار أنه ربما يموت فلا يصلي صلاة غيرها، فيحرص على الإحسان والإتقان وحضور القلب واغتنام الصلاة، ولا يشغله أمر الدنيا، قال ﷺ: «اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌ أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجلٍ لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها». [«صحيح الجامع»، و«السلسلة الصحيحة»].

وهذه هي صلاة المودع التي أمر النبي ﷺ بها، فقال: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع». [أحمد، «صحيح الجامع»].

خامسًا: استحضار معاني العظمة لله، وتذلل العبد بين يديه في الصلاة، فإذا قال العبد مستفتحًا صلاته: الله أكبر، استشعر عظمة اللَّه وأنه أكبر من كل شيء، ويرفع العبد يديه مع التكبير حيال أذنيه إشارة منه إلى طرح الدنيا والإقبال على العبادة، وتمام الاستسلام والانقياد ليناسب فعله قوله: اللَّه أكبر.

قيل للشافعي: ما معنى رفع اليدين في الصلاة؟ قال: تعظيم الله واتباع سنة نبيه ﷺ.

وإذا ركع العبد أو سجد استشعر معاني التعظيم لله، وتذلله بين يديه مرددًا: سبحان ربي العظيم، و: سبحان ربي الأعلى، ويكثر من الدعاء في سجوده لاستشعار قربه من الله عز وجل. قال رسول الله ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم». [متفق عليه].

وكان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة، وكبر للإحرام، قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي وبصري ومُخي وعظمي وعصبي». وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد». وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسنُ الخالقين».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

سادسًا: تدبر آيات القرآن، وأذكار الصلاة واستحضار معانيها والتفاعل معها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً. وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ

وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

أما التفاعل مع الآيات فهو أكثر من مجرد معرفة معانيها، ويكون باستحضار أنه يناجي الله عز وجل بتلاوة كلامه، وأن الله سبحانه يسمع منه، ويخاطبه بكلامه، ويباهي به ملائكته، فإذا قرأ العبد: ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله عز وجل: حمدني عبدي. فإذا قرأ: ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قرأ: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾. قال تعالى: مجدني عبدي. فإذا قرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. قال تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قرأ: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾. قال تعالى: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل.

وإذا قرأ العبد آية رحمة، سأل الله تعالى من رحمته، وإذا قرأ آية عذاب استعاذ بالله من العذاب، فإذا جلس للتشهد جلس خاشعًا يلقي بالتحيات الطيبات لله عز وجل، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه، ثم يُسلم وينصرف من صلاته، مستشعرًا تقصيره في ذلك فيستغفر ربه بعد كل صلاة.

سابعًا: دفع الشواغل التي تحول بين العبد وبين الخشوع واستحضار القلب، فيلقي الدنيا وراء ظهره إذا كبر للصلاة، ولا يصلي بحضرة الطعام، ولا يصلي في ثوب أو على ثوب فيه نقوش وزخارف، ولا يصلي وهو حاقن يدافع الأخبثين، ولا يصلي وقد غلبه النعاس، ولا يلتفت في صلاته. وبالجملة يُفرِّغ المصلي قلبه ونفسه وبدنه للصلاة ويدفع كل ما يشغله عنها.

مراتب المصلين في الخشوع

إذا كان الخشوع هو روح الصلاة وليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فإن المصلين يتفاوتون في الفضل تفاوتًا عظيمًا، بل إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وفي الصف الواحد، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض؛ وذلك أن أحدهما مقبلٌ بقلبه وجوارحه على الله عز وجل، والآخر ساهٍ غافل منصرف بقلبه إلى شواغل الدنيا، أو إلى توافه الأمور.

قال ابن القيم: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها: الظالم لنفسه، المفرط الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة، ولكنه ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس.

الثالث: من حافظ على أركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من قام إلى الصلاة وقد أكمل أركانها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة حافظ على ذلك كله، ووضع قلبه بين يدي ربه، ناظرًا إليه، مراقبًا له كأنه يراه، فالأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه له نصيب ممن جُعلت قرة عينه في الصلاة(١).

من ثمرات الخشوع(٢)

١- يورث الخوف والخشية من الله عز وجل.

٢- دليل على صلاح العبد، ومظهر من مظاهر إيمانه.

٣- يزيل ما في القلب من قسوة وغفلة.

٤- يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) الوابل الصيب (ص٣١، ٣٢).

(٢) نضرة النعيم (١٨٣٧/٥).

الحلقة الثانية

سورة المجادلة

بقلم الدكتور عبد العظيم بدوي

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ٧- ١٠].

تفسير الآيات

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أي: ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فـ ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ النجوى: هي التحدث سرًا، فما يتناجى ثلاثة إلا كان الله رابعهم، ﴿وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي: معهم بعلمه وسمعه وبصره، قد أحاط بهم علمًا، وهو سبحانه محيطٌ بكل شيء وفوقه، وليست المعيةُ هنا معية ذات، فالله على العرش استوى، كما أخبر عن نفسه سبحانه، ولا يخلو مكان من علمه، ولا يجوز اعتقاد أن الله بذاته في كل مكان؛ لأن الله يتعالى عن الحلول في كل مكان، ولئن كنا نحكم على النصارى بالكفر ؛ لقولهم أن الله سبحانه حلّ في عبده عيسى، فكيف بمن يقول: إن الله حلّ في كل مكان؟!

ومعنى كونه سبحانه معهم

أينما كانوا: أنه مطلع عليهم، يعلم سرّهم ونجواهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، ومع علمه سبحانه بعباده فقد وكّل بهم ملائكةً تسجّل كلّ ما يكون من نجواهم، تسجّل كل ما يكون في هذه الاجتماعات السرية المغلقة، التي لا يحضرها إلا المقربون، كما قال تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ. أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩، ٨٠].

ولو لم يكن بعد الموت حساب وجزاء لكان اعتقادُ المسلم أنّ اللّه مطلعٌ عليه وناظرٌ إليه، يعلم سرّه ونجواه، زاجرًا له عن فعل ما يكرهه الله، فكيف إذا كان اللّه مطلعًا على أعماله، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

عن صفوان بن محرز قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي اللّه عنهما آخذٌ بيده ؛ إذ عَرَضَ رجلٌ، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللّه يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَه ويستره، فيقول: أتعرفُ ذنب كذا، أتعرفُ ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيُعطى كتاب حسناته. وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة اللّه على الظالمين». [متفق عليه. رواه البخاري (٥/٩٦/٢٤٤١)، ومسلم (٤/٢١٢٠/٢٧٦٨)].

فتخيّل نفسك يا عبد الله وقد مثلت أمام ربك، أمام الملك الكبير المتعال، أمام العزيز الجبار القهار، فيقول لك: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فما أشدّ حياءك! وما أشدّ خجلك! وما أكثر عرقك! حين يقرّرك ربك بذنوبك، وأنت لا تستطيع إنكارًا. فاللهم استر بسترك يوم تُبلى السرائر، وأدخلنا الجنة بغير حساب.

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذا ختام الآية، وقد افتتحت بـ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، فناسب البدءُ الختام. ونحن نُشْهِدُ اللّه أننا نؤمن بأن اللّه على كل شيء قدير، وأن اللّه قد أحاط بكل شيء علمًا. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وهم اليهود، كان الرسول ﷺ قد جعل بينه وبينهم موادعة، فكانوا إذا مرّ بهم رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ أقبل بعضهم على بعض يتناجَوْن، حتى يظنّ المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فإذا رأى المؤمن ذلك خَشِيهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ فلم ينتهوا، وعادوا إلى النجوى. ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، والمراد بالإثم ما يقعون فيه مما حرّم اللّه عليهم، فيكسبون إثمًا، وذلك فيما يختص بهم، والعدوان هو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ﷺ ومخالفته، فكانوا في نجواهم يتواصون ألا يؤمنوا لمحمد، وأن ينكروا ما يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل عن محمد، حتى لا يؤمن أحدٌ به.

﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾. عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: مرّ يهودي برسول الله ﷺ، فقال: السّام عليك. فقال رسول الله ﷺ: «وعليك». ثم قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ماذا قال هذا؟ قال: السّام عليك». قالوا: يا رسول الله، ألا نقتله؟ قال: «لا، إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم». [صحيح. رواه البخاري (١٢/٢٨٠/٦٩٢٦)].

وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السّام عليك. قالت عائشة: فَفَهِمْتُها، فقلتُ: عليكم السّام واللعنة. قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إنّ اللّهَ يحبّ الرفق في الأمر كلّه». فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم».

[متفق عليه. رواه البخاري (١١/٤١/٦٣٥٦)، ومسلم (٤/١٧٠٦/٢١٦٥)، والترمذي (٤/١٦٢/٢٨٤٤)].

والسّام: الموت. فكانوا- لعنهم الله- يَلْوُون ألسنتهم، ويحرفون الكلام، فيقولون: السّام، بدلاً من: السلام، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يعنون: لو كان محمد رسول الله حقًا لعذبهم الله بما قالوا، ولم يعذبهم، فليس برسول الله، وفي حكاية الله تعالى ما كانوا يقولونه في أنفسهم إشارةً إلى ما سبق من أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأنه عليم بذات الصدور، كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، فهتك الله أستارهم، وفضح أسرارهم، وأخبر نبيّه بحقيقة ما يحيّونه به، وما يقولونه في أنفسهم، ثم توعّدهم بقوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، ومعنى ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي يدخلونها فتغمرهم وتحيط بهم من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

ولما ذكر الله تعالى يهود وما يتناجون به، نهى عباده المؤمنين عن التناجي بما يتناجي به يهود، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ إن كان لا بد من التناجي فـ ﴿تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، والبر اسم جامع لكل طاعة، والتقوى اسم جامع للقيام بالواجبات وترك المحرمات، فأنتم يا معشر المؤمنين، إذا تناجيتم فتواصوا بالبرّ والتقوى، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، و﴿لاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، فإنّ هذا ينافي الإيمان الذي هداكم الله له، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فينبئكم بما كنتم تعملون، فاحذروا أن تتركوا فعل ما أمركم بفعله، أو تفعلوا ما نهاكم عن فعله.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: إنما النجوى التي يتناجاها يهود من الشيطان، وهو الذي حرّضهم عليها، وزينها لهم، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لخوفهم أن يكونوا يتناجون بقتلهم أو بما يضرّهم، ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، كما قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك». [متفق عليه]. قال تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. كتب بعض الصالحين إلى أخ له رسالة يقول فيها: «إذا كان الله معك فمن تخاف؟ وإذا كان عليك فمن ترجو؟». فـ ﴿عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]، ولما كان التناجي يؤذي المؤمنين، فقد نهى النبي ﷺ عنه إذا آذى مؤمنًا، فقال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه». [متفق عليه].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

جهاد معاوية رضي الله عنه

أخرج البخاري في «صحيحه» عن عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام. قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أنتِ فيهم». ثم قال النبي «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا».

وقد جاء الحديث من رواية أنس بن مالك عند البخاري ومسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام، ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون هذا البحر الأخضر ملوكًا على الأَسرة». قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي، عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله». كما قال في الأول. قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين». فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت.

التعريف براوية الحديث

هي: أم حرام بنت ملحان، وكانت زوجة لعبادة بن الصامت رضي الله عنهما، وقد سافرت معه لغزو «قبرس»[1] تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٢٨، وكانت أم حرام مع فاختة بنت قرظة زوجة معاوية بن أبي سفيان.

قال النووي: اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرمًا للنبي ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده؛ لأن عبدالمطلب كانت أمه من بني النجار.

قال القاضي عياض: قال ابن وهب: وأم حرام هذه إحدى خالات النبي ﷺ من الرضاعة، فلهذا كان يدخل عندها وينام في حجرها. وقال غيره: بل كانت خالة لأبيه أو لجده؛ لأن أم عبدالمطلب من بني النجار. وفيه جواز مثل هذا من ذوي المحارم، وأنه لا يجوز مثله إلا لذوي المحارم، والنبي ﷺ وإن كان معصومًا فإنه يقتدى به في مثل هذا من أفعاله.

إلقاء الضوء على بعض جوانب الحديث

في هذا الحديث منقبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ لأنه أول من غزا البحر، وكان ذلك سنة ٢٨ في خلافة عثمان رضي الله عنه، ومنقبة لولده يزيد؛ لأنه أول من غزا مدينة قيصر، والمقصود بالمدينة القسطنطينية، ولا يجوز أن نقول أن المقصود المدينة التي كان بها قيصر

●● دل الكتاب والسنة على إباحة ركوب البحر للعبادة والتجارة

عند قول النبي ﷺ ذلك وهي حمص، وكانت دار مملكته إذ ذاك؛ فذلك مندفع بأن حديث أم حرام بنت ملحان كانت فيمن غزا البحر وماتت بعد خروجها من البحر، وهذه الغزوة- غزوة مدينة قيصر- بعدها. أما حمص فقد فتحت قبلها، وفي تلك الغزوة مات أبو أيوب الأنصاري، فأوصى أن يُدفن عند باب القسطنطينية.

وفي حديث أم حرام هذا جواز إذن ذوات المحارم لمحارمهن وإن لم يحضر الزوج، وفيه إباحة أكل ما قدمته المرأة لضيفها في بيتها من مالها ومال زوجها؛ لأن الأغلب أن ما في البيت من الطعام للزوج إذا علم أنه ممن لا يكره أن يؤكل ما في بيته، وفيه جواز مثل هذا للوكيل المتصرف للرجل إذا علم من صاحب المال الإذن والسرور بذلك، ومعلوم سرور زوج أم حرام بذلك وغيرة من المسلمين ومحبتهم لدخول النبي ﷺ بيوتهم وأكله طعامهم.

وضحكه ﷺ كان إعجابًا بهم وفرحًا لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة، ولما بشر به من أمر أمته وغزوهم البحر وسروره بما يفتح الله عليهم في الدنيا وما يدخله عليهم من الأجر في الآخرة، وأن أمته تبقى بعده متماسكة قائمة بأعمال الإسلام، قائمة بالجهاد حتى في البحر.

فتح قبرص

قال الحميري: قبرص جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر، وبها قرى

بقلم الرئيس العام

ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواشٍ، وبها ثلاث مدن.

قال ابن الأثير في «الكامل»: في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية، غزاها معاوية ومعه جماعة من الصحابة منهم أبو ذر وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس. وكان معاوية قد لج- أي: ألح وأكثر الإلحاح- على عمر في غزو البحر وقرب الروم من قرى حمص، وقال: إن قرية من حمص ليسمع نباح كلابهم وصياح دجاجهم، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزاد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق، فلما قرأه كتب إلى معاوية: والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا.

وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء في الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا. وبالله لمسلم أحب إليَّ مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إلي، فقد علمت ما لقي العلاء مني.

فلما كان زمن عثمان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مرارًا، فأجابه عثمان بآخره إلى ذلك، وقال له: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأعنه، ففعل وسار المسلمون من الشام إلى قبرس، وسار إليها عبدالله بن سعد من مصر، فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة.

ولما فتحت قبرس وأخذ الناس منها السبي يقتسمونه، بكى أبو الدرداء، فقيل له: أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله؟ فقال: ما أهون الخلق على الله تعالى إذا تركوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى وسلط الله عليهم السباء[٢]، وإذا سلط السباء على قوم فليس له فيهم حاجة.

فتح القسطنطينية

قال ابن كثير: سنة تسع وأربعين وفيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم، حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، فكان هذا الجيش أول من غزا القسطنطينية وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد، وفيها توفي أبو أيوب خالد بن يزيد الأنصاري.

وقبرس والقسطنطينية هما المعنيان في حديث أم حرام: قبرس أول جيش من المسلمين يغزو في البحر والقسطنطينية غزو مدينة قيصر.

في هذا الحديث جواز ركوب البحر المالح للغزو، وإن كان عمر كان يمنع منه ثم أذن فيه عثمان.

قال أبو بكر بن العربي: ثم منع منه عمر بن عبدالعزيز، ثم أذن فيه من بعده، واستقر الأمر عليه، أي على الإذن في ركوبه.

ونقل عن عمر أنه إنما منع ركوبه لغير الحج والعمرة ونحو ذلك. ونقل ابن عبدالبر أنه يحرم ركوبه عند ارتجاجه اتفاقًا، وكره

الناس فى ركوب البحر تخلف أحوالهم فرب راكب يسهل

من بات فوق بيت ليس له إجّار فوقع

من ركب البحر بعد ما يرتجّ

مالك ركوب النساء مطلقًا البحر لما يخشى من اطلاعهن على عورات الرجال فيه؛ إذ يتعسر الاحتراز من ذلك، وخص أصحابه ذلك بالسفن الصغار، وأما الكبار التي يمكنهن فيها الاستتار بأماكن تخصهن فلا حرج في ذلك.

وقد اختلف السلف في جواز ركوب البحر، ففي حديث زهير بن عبدالله مرفوعًا: «من ركب البحر إذا ارتج فقد برئت منه الذمة». وفي رواية: «فلا يلومن إلا نفسه». وفيه تقييد المنع بالارتجاج ومفهومه الجواز عند عدمه، وهو المشهور من أقوال العلماء، فإذا غلبت السلامة فالبر والبحر سواء، ومنهم من فرق بين الرجل والمرأة، وهو عن مالك، فمنعه للمرأة مطلقًا، وحديث أم حرام حجة للجمهور.

ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة، وذلك في خلافة عثمان، رضي الله عنهم جميعًا.

وقال مطر الوراق التابعي المشهور: لا بأس به- أي ركوب البحر- وما ذكره الله في القرآن إلا بحق، ثم تلا: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النحل: ١٤].

قال القرطبي عند قوله: ﴿ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾: هذه الآية وما كان مثلها دليل على جواز ركوب البحر مطلقًا لتجارة كان أو عبادة كالحج والجهاد، ومن السنة حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا

عليه ذلك ولا يشق، وآخر يشق عليه ويضعف به!!

فمات فقد برئت منه الذمة!!

فقد برئت منه الذمة!!

رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء... الحديث.

وحديث أنس بن مالك في قصة أم حرام أخرجها الأئمة مالك وغيره. ففيه دليل واضح على ركوب البحر في الجهاد للرجال والنساء، وإذا جاز ركوبه للجهاد فركوبه للحج المفترض أولى وأوجب.

وروي عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهما المنع من ركوبه، والقرآن والسنة يردان هذا القول، ولو كان ركوبه يكره أو لا يجوز لنهى عنه النبي ﷺ الذين قالوا: إنا نركب البحر. وهذه الآية وما كان مثلها نص في الغرض وإليها المفزع. وقد تؤول ما روي عن العمرين من ذلك بأنه محمول على الاحتياط، وترك التغرير بالمهج في طلب الدنيا والاستكثار منها، وأما في أداء الفرائض فلا، ومما يدل على جواز ركوبه من جهة المعنى أن الله تعالى ضرب البحر وسط الأرض وجعل الخلق في العدوتين. وقسم المنافع بين الجهتين، فلا يوصل إلى جبلها إلا بشق البحر لها، فسهل الله سبيله بالفلك.

قال ابن العربي: قال أبو عمر: وقد كان مالك يكره للمرأة الركوب للحج في البحر وهو للجهاد لذلك أكره. والقرآن والسنة يردان قوله إلا أن بعض أصحابنا من أهل البصرة قال: إنما كره ذلك مالك لأن السفن بالحجاز صغار، وأن النساء لا يقدرن على الاستتار عند الخلاء فيها لضيقها وتزاحم الناس فيها، وكان الطريق من المدينة إلى مكة على البر ممكنا، فلذلك كره مالك ذلك، وأما السفن الكبار نحو سفن أهل البصرة[٣]، فليس بذلك بأس. قال: والأصل أن الحج على كل من استطاع إليه سبيلاً من الأحرار البالغين نساءً كانوا أو رجالاً إذا كان الأغلب من الطريق الأمن، ولم يخص بحرًا ولا برًا.

قلت- أي القرطبي-: فدل الكتاب والسنة والمعنى على إباحة ركوبه للمعنيين جميعًا: العبادة والتجارة، فهي الحجة وفيها الأسوة، إلا أن الناس في ركوب البحر يختلف أحوالهم، فرب راكب يسهل عليه ذلك ولا يشق، وآخر يشق عليه ويضعف به، كالمائد المفرط الميد، ومن لم يقدر معه على أداء فرض الصلاة ونحوها من الفرائض، فالأول ذلك له جائز، والثاني يحرم عليه ويمنع منه، ولا خلاف بين أهل العلم، وهي: أن البحر إذا ارتج لم يجز ركوبه لأحد بوجه من الوجوه، في حين ارتجاجه ولا في الزمن الذي الأغلب فيه عدم السلامة، وإنما يجوز عندهم ركوبه في زمن تكون السلامة فيه الأغلب، فإن الذين يركبونه حال السلامة وينجون لا حاصر لهم، والذين يهلكون فيه محصورون.

قوله تعالى: ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ أي بالذي ينفعهم من التجارات وسائر المآرب التي تصلح بها أحوالهم وبركوب البحر تكتسب الأرباح وينتفع من يحمل إليه المتاع أيضًا، وقد قال بعض من طعن في الدين: إن الله تعالى يقول في كتابكم: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ فأين ذكر التوابل المصلحة للطعام من الملح والفلفل وغير ذلك؟ فقيل له في قوله: ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾. اهـ. «تفسير القرطبي» [تفسير آية ١٦٤ من سورة البقرة.

خروج النساء في الغزو

أخرج مسلم عن أنس أن أم سليم اتخذت

يوم حنين خنجرًا فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل النبي ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله، أَقْتُلُ من بَعْدَنَا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن».

فلقد ظنت أم سليم أن المنهزمين يستحقون القتل على ذلك، أو أنهم لم يؤمنوا، وإنما أظهروا الإسلام، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن اللَّه قد كفى وأحسن» أي: كفانا مؤونة العدو وأغنانا عمن فر وأحسن في التمكين من العدو والظفر به.

وأخرج مسلم عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى. ويقول أنس: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما ينقلان القرب على متونهما ثم يفرغانه في أفواههم ثم يرجعان فيملآنها ثم يجيئان يفرغانه في أفواه القوم.

وأخرج مسلم عن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى.

أحاديث ضعيفة في ركوب البحر!!

وعند أبي داود حديث ضعيف: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا». قال المنذري: فيه اضطراب. وقال أبو داود: رواته مجهولون. وقال البخاري: لا يصح.

وعند ابن ماجه حديث ضعيف: «غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه». قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف.

وعند ابن ماجه حديث ضعيف آخر: «شهيد البحر مثل شهيدي البر، والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة اللَّه، وإن اللَّه عز وجل وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهيد البحر الذنوب والدين». قال البوصيري: ضعيف الإسناد، وضعفه أحمد وابن معين ودحيم وأبو حاتم والبخاري والنسائي وغيرهم.

وفي مسند أحمد عن بعض أصحاب محمد مرفوعًا: من بات فوق بيت ليس له إجّار فوقع فمات فقد برئت منه الذمة، ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات فقد برئت منه الذمة. [صححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٨)].

ورواية: من بات فوق إجّار أو فوق بيت ليس حوله شيء يرد رجله فقد برئت منه الذمة، ومن ركب البحر بعدما يرتج فقد برئت منه الذمة.

وهذا الحديث في مسند أحمد لم يذكر فيه اسم الصحابي، وقد روى ابن ماجه الجزء الأول منه عن علي بن شيبان قال: قال رسول الله ﷺ: من بات على ظهر بيت ليس له حجار فقد برئت منه الذمة. وقال الألباني: صحيح.

وفيه التحذير من إلقاء النفس في التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الهوامش

(١) هكذا كان يكتبها علماء المسلمين قديمًا بالسين، وإن كان اليوم يكتبونها بالصاد، وهي كلمة رومية؛ تعني في لغة العرب: النحاس الجي.

(٢) السباء: السّبي، وهو الأسر.

(٣) سفن اليوم أكثر أمانًا وأكبر حجمًا.

(٤) الإجّار هو السور المضروب فوق البيت.

من سب معاوية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

تحت عنوان «جنود من عسل»، نشرت جريدة الجمهورية بعددها الصادر ٢٠٠١/١١/٨ مقالاً جاء فيه: أن معاوية رضي الله عنه نموذج للحاكم الذي لم يلتزم بالشرف والأخلاق، وأن الإسلام لم يستقر في عقله ولا وجدانه، وأنه اتسم إلى جانب الدهاء بالعنف في الخصومة!! إلى غير ذلك من افتراءات وسخافات على صحابي من صحابة رسول الله ﷺ.

بقلم:
أسامة سليمان

ونظرًا لخطورة هذه القضية- سب صحابة رسول الله ﷺ- من دعاة حركة التنوير ورواد العلمانية الضالة، أردت توضيح حكم سب الصحابة، ومنزلتهم، فضلاً عن إزالة الشبهات عن أحد كتبة الوحي الذين شهد لهم الصحابة بالفقه والعلم.

منزلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

- لقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا... وهذا الوصف لجميع الصحابة عند جمهور العلماء، وذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير»، ويروي أن مالكًا رحمه الله ذكر عنده رجل ينتقص من قدر الصحابة، فقرأ هذه الآية ثم قال: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب محمد ﷺ فقد أصابته الآية: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

- قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول الحافظ ابن كثير: «قد رضي الله عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم».

- لقد نهى النبي ﷺ عن سب الصحابة، بل توعد من فعل ذلك باللعن من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا

ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». رواه البخاري.

وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». أخرجه أبو نعيم، وحسنه الألباني.

- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير القلوب، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ».

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه محمد ﷺ».

سبُّ صحابة رسول الله ﷺ هو دأب الرافضة ومن على شاكلتهم !!

وسب صحابة الرسول ﷺ هو دأب الرافضة ومن على شاكلتهم. قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة.

ولقد كان الإمام أحمد رحمه الله يرى أنه من سب الصحابة فإنه يضرب ضربًا نكالاً. وقال إسحاق بن راهويه: «من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس، ولقد جيء برجل سب معاوية لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله فضربه أسواطًا.

ولقد خصص الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده مسندًا خاصًا بمعاوية رضي الله عنه، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ستين حديثًا، واتفق البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة عن معاوية رضي الله عنه، فضلاً عن أن الإمام البخاري قد بوّب له في كتاب المناقب في صحيحه.

أما عن أقوال العلماء في حقه رضي الله عنه فنسوق منها:

١- قال ابن عساكر: خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين.

٢- قال عنه الذهبي: «أمير المؤمنين، ملك الإسلام».

٣- قال عنه ابن خلدون: «وقد كان ينبغي أن ألحق دولة معاوية وأخباره بدولة الخلفاء وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة».

٤- وقال عنه أبو العز شارح الطحاوية: «أول ملوك المسلمين معاوية، وهو خير ملوك المسلمين».

أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال: «أول جيش يغزو مدينة هرقل مغفور له». رواه البخاري ومعلوم أن معاوية رضي الله عنه هو الذي قاد هذا الجيش سنة ٥١هـ.

هذا قليل من كثير... فهل يحق لأحد بعد ذلك في زمن الغربة والمحن أن يتطاول على ذلك الصحابي الجليل في جريدة رسمية دون أن يقال له قف عند حدك، ولكن ماذا نقول في زمن وُسد فيه الأمر إلى غير أهله، ووكل العلم إلى الأصاغر، ونطق به الرويبضة؟!

والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

بقلم: رئيس التحرير

عــــام جديـــد.. ووقفة مع النفس !!

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، والصلاة والسلام على رسول الله الذي بلغ ما أنزل إليه من ربه، وعلى آله وصحبه... أما بعد:

فإن المتمعن في مجموع العالم اليوم بقضه وقضيضه، والذي يلقي بثاقب نظره صوب الفلك الماخرة وسط زوابع يموج بعضها في بعض ونوازل تتلاطم كموج من فوقه موج من فوقه سحاب ليوقن من خلال سبره للأحداث العامة والمدلهمات المتكاثرة على كافة مناحي الحياة بلا استثناء، أن الذين يفهمون أن مبدأ ما من المبادئ أو حركة ما من الحركات، أو دعوة ما من الدعوات المنبعثة هنا وهناك يمكن أن تكبح جماح المظالم بشتى صورها مهما تبهرجت وتزينت للناس، وأن تسد ثلمة المجتمعات الشارخة دون أن يكون ذلك كله من خلال الإسلام وروح الإسلام وشريعة الإسلام، من يفهم خلاف ذلك فهو شاذ برمته، إما أنه مريض خراص أو عرق دخيل دساس لا يعول على مثله ولا يوثق به.

وقد أظلنا عام جديد، وأمتنا في حال يرثى لها، قد أحاطت بها الفتن، وعمّ البلاء والشقاء، وازداد المسلمون من الله بعدًا، واتبعوا خطوات الشيطان، فأمرهم بالفحشاء والمنكر، وتمرد الكثير منهم على الشريعة، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، فحق علينا قول ربنا: ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾، أذاقنا الله لباس الجوع، ولباس الخوف بما كسبت أيدينا واقترفت جوارحنا.

وقد شرع اللَّه لنا أن نقابل ابتلاءه بالسراء بقوله عن سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النحل: ٤٠]، وكذلك أن يكون موقفنا في الضراء مغايرًا لما ذكره اللَّه على وجه الذم بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم !!

إن غير المسلمين لن يرضوا عن أمة الإسلام إلا أن تترك دينها وتبتعد عن شريعتها، أَوْ لاَ أقلَّ من أن تتراجع أو تقدم تنازلات قد لا تبقي من الإسلام إلا اسمه، وهذا أمر ينبغي أن لا يختلف عليه اثنان!!

وقد نبأنا اللَّه من أخبار المنافقين، وحذرنا من صنائعهم التي منها ما ذكره في قوله تعالى: ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

وإذا كان القرآن الكريم قد أخبر عن المنافقين أنهم يفتنون في كل

عام مرة أو مرتين، وأن ذلك يكفي للتوبة والتذكر، فإنه يحذرنا من مغبة ما وقعوا فيه.

والفتن التي أحاطت بنا في عامنا الماضي كثيرة ومتنوعة، سواء على المستوى الخاص في مجتمعنا، أو المستوى العام في أمتنا الإسلامية.

وفي هذه المرة نستطيع القول: إن ما نعيشه في مجتمعاتنا المحلية هو نتاج طبيعي وامتداد لما تعيشه الأمة من توابع لزلزال ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بعد تفجير العداء الكامل ضد العرب والمسلمين، ووجدنا أنفسنا فجأة في قفص الاتهام وحدنا! إرهابيين في نظر رئيس أمريكا وحاشيته، أكثر من الإرهاب الذي يمارسه هو نفسه تحت شعور بغطرسة القوة، يريد أن يهوي بالعالم الإسلامي إلى محاور الشر، ومساعد لها، وصامت عليها، والجميع عنده في بوتقة واحدة!!

ومحور الشر الحقيقي يقف وراء السفاح الدموي شارون يحاول أن يبيد الأخضر واليابس في فلسطين.. عشرات بل مئات القتلى يتم إبادتهم يوميًا بالأسلحة الأمريكية والعالم كله يترقب في صمت العاجز، حتى عن بعض كلمات الإدانة!!

المؤامرة على الأمة الإسلامية؟!

التجهيزات تتم.. والمؤامرات تحاك، والهدف واحد، والغاية واحدة، إنها الحرب الصليبية على الإسلام والمسلمين!! اليوم في أفغانستان، ثم باكستان، ثم العراق، ثم اليمن... والدائرة تدور، وأيدي اليهود القذرة تمتد إلى الهند وتركيا بدعم من رأس المثلث في محور الشر الحقيقي !! وتصل المؤامرات إلى الهند، ويحرق الهندوس عشرات المسلمين أحياء، ويعود من جديد الصراع على المسجد البابري!!

وما يحدث في الداخل من فقر مدقع، وكوارث ونكبات، واقتصاد منهار، كل ذلك مرجعه عدم القناعة، والبعد عن الله!!

إننا لن ننصر إسلامنا من خلال الشعارات والهتافات أو المظاهرات والاضطرابات!! وإنما ننصره إذا أخذنا بأسباب النصر، ولا يمكننا أن نأخذ هذه الأسباب إلا بعد دراسة واعية وإدراك كامل لما يراد بنا ومنا ولنا!!

إن الحملة المسمومة التي يتعرض لها المسلمون في العالم أجمع، وحرب الإبادة، والسهام المسمومة التي توجه لهم في كل مكان، وما يحدث لإخواننا في فلسطين يستوجب منا أن نراجع أنفسنا مراجعة متأنية، ونحن على أبواب قمة عربية نقول لقادتها: إن الأمة تنتظر منكم الكثير، وكفانا هوانًا.

لقد آن الأوان ونحن نستقبل العام الجديد أن نراجع أنفسنا، وأن نتدبر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأن ننتفع بدروس الهجرة المباركة، ونعود إلى الله، القائل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

لقد آن الأوان لكي نقف وقفة جادة صادقة مع أنفسنا لنتساءل: أين الطريق، بل أين المفر، وماذا نحن فاعلون؟!

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفتن التي أحاطت بنا في العام الماضى كثيرة ومتنوعة وسببها تفريطنا في أمر الله

الدكتور: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

أستاذ ورئيس قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
والمستشار في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

○ ظاهرة الغلو ظهرت منذ عهد الرسول ﷺ !!

○ **كل من تجاوز سنة الله ورسوله، وقع في المغالاة، ولا سبيل لعلاجه إلا بمجالسة العلماء!!**

○ **لا سبيل للتخلص من ظاهرة الغلو إلا بالعلم والجلوس عند العلماء والتفقه عليهم!!**

○ **ينبغي أن يسلك الدعاة المسلك الصحيح السليم، وبعد هذا تقوم الدولة على إيمان صحيح سليم!!**

إعداد:
جمال سعد حاتم

التوحيد

برزت على السطح في الآونة الأخيرة ظاهرة الغلو.. أو ما يسمونه بالتطرف.. مما جعل العلماء في سباق مع الزمن للقضاء على هذه الظاهرة، وأكدوا أنه لا سبيل للحد من هذه الظاهرة، إلا بالعلم ؛ لأن هؤلاء الذين اتجهوا إلى ذلك الغلو لم يجلسوا عند العلماء، ولم يتفقهوا على أيديهم، بل تجاوزا الحد، إما بسبب جهلهم أو بسبب عنادهم، فكان لقاؤنا هذا لبيان ما للعقيدة في حياة المسلم من أثر بالغ يكمن في إصلاح القلوب والجوارح حتى تنقاد إلى حكم الله وما يتبع ذلك من علم وعمل، إضافة إلى التحذير من التشكيك في علماء الأمة ورموزها.

■ **التوحيد: برزت على السطح بعض الأخطاء التي تتعارض مع معتقد أهل السنة والجماعة، نرجو من فضيلتكم بيان هذه الأخطاء وحاجة الأمة إلى المعتقد الصحيح في ظل الأخطار الكثيرة التي تحيط بالعالم الإسلامي؟**

من أراد النجاة فليتمسك بالكتاب والسنة

□ د. الفقيهي: إن هذه الأخطاء التي تحيط بالعالم الإسلامي قد أشار إليها الرسول ﷺ في حديثه الصحيح: «إن هذه الأمة ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»، ثم بين أن كل الفرق هالكة إلا واحدة، ولما سئل عنها عرفها ﷺ، فقال: «إلا واحدة وهي الجماعة»، فالفرقة الناجية هي التي تسلك مسلك الرسول ﷺ في العقيدة والعبادة والمعاملات، فمن أراد النجاة فعليه أن يتمسك بما قاله الرسول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي». ثم أعقب هذا الجواب بتعريف الفرقة الناجية، حيث قال: «إلا واحدة، وهي الجماعة»، وهم الذين فهموا من رسول الله ﷺ العقيدة الصحيحة والعبادة الصحيحة.

■ **التوحيد: من الملاحظ اليوم بروز ظاهرة الغلو، واتجاه العامة للتجاوب مع هذا الغلو، فما السبيل للحد من هذه الظاهرة؟ ومن المسئول عنها؟**

□ د. الفقيهي: أما الحد من هذه الظاهرة ؛ فلا سبيل لذلك إلا بالعلم ؛ لأن هؤلاء الذين اتجهوا إلى ذلك الغلو، لم يجلسوا عند العلماء، ولم يتفقهوا على أيديهم، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فالمرحلة الأولى هي التفقه في الدين، والتفقه في الدين لا يكون من المجلات ولا يكون من الصحف، ولا يكون من الأشرطة، وإنما يكون بالتلقي عن العلماء الذين يفهمون النصوص ويجمعون بينها، فالغلو مجاوزة الحد، والحد لا يتجاوزه إلا المعاند الذي يفهم ويدعو إلى هذه المناهج- مناهج الغلو- وهو يعلم ذلك، فهذا قصده سيئ، ولكن المشكلة في هذه الكثرة من الشباب الذين ليس لديهم علم، وتجرفهم العواطف، قبل أن يثبتوا وقبل أن يعطوا كل ذي حق حقه، نضرب مثلاً عبدالله بن عمرو بن العاص أراد أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولكن

الرسول ﷺ نهاه، وكذلك الثلاثة الذين جاءوا وسألوا عن عبادة رسول الله ﷺ، وقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل ولا أرقد، والثاني قال: أما أنا فأصوم ولا أفطر، والثالث قال: وأنا لا أتزوج النساء.. فهذه ظاهرة بدأت في زمن الرسول ﷺ، ولكنه حسمها في نفس الوقت حينما قال لهم: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟» قالوا: نعم، قال: «ما بال إخوان لنا يقولون كذا وكذا»، ثم ذكر قولهم هذا، وقال: «إني أتقاكم لله وأخشاكم لله، ولكني أنام وأقوم، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه. وكل تجاوز لسنة رسول الله ﷺ في الشريعة غلو.

تغيير المنكر باليد لا يقوم به إلا السلطان أو من ينوب عنه بالنسبة لجموع الناس

■ التوحيد: ما تأثير العقيدة في حياة المسلم وتصرفاته؟

□ د. الفقيهي: إن العقيدة هي التي تقود حياة المسلم وتصرفاته، فلو رجعنا للحديث الموجود في «صحيح البخاري» في فوائد القرآن، حين جاء رجل يسأل عائشة، رضي الله عنها، عن الميت إذا مات فيم يكفن؟ ثم قال: أريني مصحفك، قالت له: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أؤلف عليه القرآن ؛ لأنه غير مؤلف، فقالت له: إن أول ما نزل على الرسول ﷺ سور من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، وفيها: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، ثم قالت: لو قال الرسول للناس: اتركوا الخمر، لقالوا: لا نترك الخمر أبدًا، ولو قال: اتركوا الزنى، لقالوا: لا نترك، فلما ثاب الناس للإسلام- أي: رجعوا- نزلت الأحكام الشرعية، فهي تقول: إن السور القصار المفصلة التي فيها التخويف-

أي الترهيب والترغيب- والدعوة للتوحيد، والدعوة للعقيدة نزلت على الرسول ﷺ في مكة، ولم تنزل عليه سورة «البقرة» و«النساء»، وهي السور التي فيها الأحكام الشرعية، إلا وأنا عنده في المدينة، وحينما انتقل الناس إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة كلها من عمر الدعوة في تصحيح العقيدة، وإصلاح القلوب ؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». فلما صلحت القلوب نزلت الأحكام الشرعية، ولهذا لا نستطيع أن نطبق الإسلام على مجتمع قبل أن نعلمه العقيدة، وقبل أن يتقبلوا بأنفسهم هذه الأحكام ؛ من غير أن نجبرهم على هذا، فالرسول ﷺ عرض عليه الكفار بمكة إذا كان يريد الملك ملكوه عليهم، لكنه يعلم أنه لو صار ملكا لن يستطيع أن يرغم الناس بما في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

والحديث الصحيح يبين أن: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وأنه إن لم يعاقب في الدنيا فسيعاقب في الآخرة، وأن كل شيء مسجل عليه، وهذا الحديث يبين أهمية الدعوة، وأنها ينبغي أن تبدأ بالأصل، وهو الذي بدأ به الرسول ﷺ، حينما انتقل إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة في تحقيق لا إله

إلا الله، وعشر سنوات نزلت فيها كل الأحكام الشرعية، من جهاد، وزكاة، وصوم، وحج.. هذا يبين لنا أهمية العقيدة.

■ **التوحيد: يزعم البعض أن منهج أهل السنة والجماعة لم يعد مناسبًا لهذا العصر، مستدلين بأن الضوابط الشرعية التي يراها أهل السنة والجماعة لا يمكن أن تتحقق اليوم، فما قولكم في ذلك؟**

□ د. الفقيهي: بعد أن يعلم كل واحد منا واجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندئذ يكون هناك تفصيل ماذا يجب عليّ أنا، وماذا يجب على فلان و«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده»، مثلاً فيما بيني وبين أولادي يمكن أن أغير المنكر بيدي إذا لم يكن ينفع فيه التغيير باللسان، أما تغيير المنكر باليد بالنسبة لجموع الناس فإن ذلك يكون قاصرًا على السلطان، أما إذا حدث التغيير باليد من قبل كل إنسان فهذه هي الفوضى.

أما قولهم: إن منهج أهل السنة لا يصلح، فهؤلاء لا يريدون منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يطبقوه، ولو أنهم رجعوا إلى دعوة الرسول ﷺ ومن تبعه- من الأئمة- وسلك مسلك الصحابة لعرفوا أنه صالح لكل زمان ومكان، ولهذا كانت هذه النبوة الخاتمة، والقرآن آخر الكتب السماوية، ولهذا تكفل الله بحفظه، بخلاف الكتب السابقة التي كانت مؤقتة، فكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعث الرسول ﷺ للناس عامة، فأنزل الله عليه هذا الكتاب، وهو معجز إلى أن تقوم الساعة.

ولو درس هؤلاء المشككون منهج أهل السنة في العقيدة وفي العبادات والمعاملات والأخلاق لعرفوا أنه صالح لكل زمان ومكان، والله تبارك وتعالى أنزل هذا الكتاب وجعله خاتم الكتب، وجعله معجزة للرسول ﷺ، وفي الوقت نفسه تحدى به البشرية كلها إلى الآن، حين قال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، لن يستطع أحد أن يعارضه، ولو سلك الناس المنهج كما سلكه السابقون لعاد الأمر كما كان عند السابقين، فإذا كانوا يقصدون الوسائل، فهذا يتسع فيه القول ولا يستطيع أحد أن ينكر عليهم، أما إذا كانوا يريدون الأصول التي كانت قواعد، بحيث إن الإنسان يريد أن يدعو الدعوة الصحيحة، يبدأ بالعقيدة، ثم ينتقل للعبادات، ثم المعاملات، ثم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

فكلامهم هذا ليس بصحيح، فيمكن أن تستفيد من الوسائل، أما الأصول فلا شأن لنا بها.

■ **التوحيد: فيما يتعلق بالعلم والعمل، هل يجب على كل إنسان أن يتعلم كل شيء وأن يعمل كل شيء؟ أم يجب على الإنسان أن يأخذ قدرًا معينًا من العلم، وقدرًا معينًا من العمل؟**

□ د. الفقيهي: كون الناس يتعلمون كلهم حتى يكونوا على درجة واحدة من العلم، هذا من الأمور المستحيلة.. ومن الأمور المخالفة للفطرة البشرية، إنما يكون هناك علماء يجتهدون، والله تبارك وتعالى يفتح عليهم، أما العامة فعليهم أن يعرفوا ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فالواجب على كل فرد بعينه أن يتعلم التوحيد، وأن يعرف العقيدة الصحيحة، وأن يعرف أن الله هو الإله الحق، وهو الإله الواحد، والأمور الأخرى تلزم الشخص بقدر ما يحتاج إليها، أما أن يكونوا على درجة واحدة من العلم فلا، وأما العمل فلا بد أن يعملوا جميعًا، فكل واحد يأتي من العبادات والطاعات بقدر ما يعلم، لا سيما ما يعرفه عامة الناس، أما الأشياء الغامضة التي تحتاج إلى اجتهاد وإلى استنباط فهذه يرجع فيها إلى العلماء.

التشكيك في رموز الأمة وعلمائها ومحدثيها فتنة

■ **التوحيد: مسألة الحدود ومن يطبق الحدود، بعض الفرق والجماعات ممن عندهم مغالاة وتطرف يقولون: إن عندهم أشخاصاً بلغوا مرحلة الاجتهاد، وأصبح الحكم عندهم إذا لم ينفذ السلطان شرع الله يقومون هم بتطبيق الحدود، لا سيما بالنسبة للردة، وعندهم لجنة يعرض عليها بعض الأشخاص فتحكم بقتلهم ويقوم آخرون بالتنفيذ، فما قولكم في ذلك؟**

□ د. الفقيهي: إن مثل هذا الأمر في الشريعة الإسلامية غير جائز، وهذا من باب الأهواء التي لا تؤدي إلا إلى الفوضى والدمار، والصواب أن الحاكم الموجود هو المسئول، وأن من اعتدى أو خرج من الدين بردة وإن اعتدى على آخر، فالأمر للسلطان، وهو الذي يقيم الحد، فالحدود لا يقيمها الأفراد، ومثل تلك الجماعات وهذه اللجان، فهي غير شرعية ؛ لأنها إذا كانت بهذه الصورة فإنها تمثل دولة داخل الدولة، وهذا أمر غير مشروع، أما ما يقال عن تشكيل لجنة عالمية، ووصول بعض الأشخاص إلى مرحلة الاجتهاد، فهذا شيء غير معروف، فهي أفكار من وسوسة إبليس، ومن تلبيس إبليس على الناس.

■ **التوحيد: ما أسباب انتشار ظاهرة التشكيك في الرموز الإسلامية ومحاولة تشويههم؟**

□ د. الفقيهي: إن هؤلاء مسلكهم مسلك الأوائل، وهو أنهم أرادوا أن يفصلوا بين الشباب وبين العلماء، حينما قالوا: إن هؤلاء العلماء لا يفقهون شيئا، ويتكلمون بالسوء في رموز الأمة من العلماء، ويُشككون فيهم بالفعل، حيث قالوا: إن هؤلاء لا يفهمون من أمور الواقع شيئا، ولا من أمور المجتمعات مما يحتاجه الإسلام، وإنما يفهمون قضايا معينة مثلما قيل عن قضايا الحيض والنفاس.

لقد قال أمثالهم كما جاء في كتاب «الاعتصام» للشاطبي، حين ذكر عن شخص من هؤلاء المبتدعة أنه قال: ما فكر ابن سيرين والحسن البصري إلا فكر لا يتجاوز خرقة حيض ملقاة!! وقال آخر: إن فكر الشافعي وأبي حنيفة لا يتجاوز سراويل امرأة!! هذا معناه أن هؤلاء العلماء مثل ابن سيرين، والحسن البصري، والإمام الشافعي، والإمام أبي حنيفة، والذين هم أئمة الأمة، قالوا عنهم: إنهم لا يفهمون إلا ذلك، وهؤلاء المتأخرون أخرجوا هذا بأسلوب آخر، فقالوا: إن هؤلاء العلماء لا يفهمون من الواقع شيئا، وإنما يفهمون هذا الفقه، وهو مقتضى الحيض والنفاس، فالغرض من هذا هو الفصل بين الشباب والعلماء ؛ لأنهم إذا فرقوا بين الشباب والعلماء الذين يفقهونهم في دين الله استطاعوا أن يلبسوا عليهم وأن يدخلوا عليهم ما يشاءون، وهكذا نجحوا لأنهم فصلوا بين المجتمع وبين هذا العالم أو ذاك، ويستطيع هؤلاء المرجفون أن يبثوا في الشباب الأفكار التي يريدون ؛ لأن الشباب إذا أفسدت عقولهم ارتكبوا أخطاء فادحة يضرون بأنفسهم ويضرون بالمجتمع الذي يعيشون فيه، ويضرون بالدعوة، وهذا هو الواقع في العالم ؛ لأن هؤلاء الشباب صاروا يتفقهون بعضهم على بعض، يقرؤون الأحاديث ويستنبطون منها الأحكام، حتى أخذوا ينفذون أهواءهم، فهم لو رجعوا إلى العلماء لبينوا لهم ذلك، وها هم الخوارج عندما قرأوا حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن». قالوا: هذا كافر، فطبقوا قاعدتهم على ذلك، فلو كانوا عند عالم من العلماء لقال لهم: تعالوا فهناك حديث آخر رواه أبو ذر نفسه، وهو حديث: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». فالعلماء هم الذين يبينون للشباب، فهؤلاء الذين يشككون في رموز الأمة هدفهم الفصل بين العلماء والشباب ؛ حتى لا يتفقهوا في أمور دينهم ويصلون إلى ما أرادوا عن طريق هذا الأسلوب. والحمد لله رب العالمين.

صور من التبرك السني والبدعي

الحلقة الثانية

بقلم: معاوية محمد هيكل

بيّنا في المقال السابق صوراً من التبرك المشروع، وفي هذا المقال نكمل ما بدأناه، ثم نتناول صوراً من التبرك البدعي؛ مستدلين في كل ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة النبوية، وإليك البيان:

ومن الأمكنة المباركة

مكة، والمدينة، فإن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا إبراهيم لأهل مكة». أخرجه مسلم.

فمن سكن مكة أو المدينة طالبًا لما فيها من البركة التي أخبر عنها ﷺ فقد وفق إلى خير كثير، بخلاف ما لو طلب التبرك بالتمسح بترابها وجدرانها وأشجارها وغير ذلك مما لم يرد به الشرع، فإنه بدعة ومدخل إلى الشرك، وكذا المشاعر المقدسة، كعرفة ومزدلفة ومنى، فهي أماكن مباركة لما يحصل في أوقاتها المشروعة من غفران الذنوب وحصول الأجر الكبير كما أخبر الرسول ﷺ.

التبرك بالأزمنة:

هناك أزمنة خصها الشرع بزيادة فضل وبركة، مثل شهر رمضان؛ لما في صيامه من غفران الذنوب وزيادة رزق المؤمن، وغير ذلك. ومن ذلك ليلة القدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣]، والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم عرفة، قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله». «صحيح الترغيب» (٩٩٦).

وكذلك يوم الجمعة، فإن بركته أنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة إجابة، وكذلك الثلث الأخير من الليل، ويوم الاثنين والخميس، وغير ذلك من الأزمنة التي خصها الشرع بمزية ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير والتماس البركة في هذه الأزمنة يكون باتباع ما أرشد إليه النبي ﷺ. [انظر «التبرك» للعلياني (٣٣)].

ومن ذلك يوم عاشوراء ؛ فمن بركته أن صيامه يكفر سنة ماضية. عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر

السنة الماضية». رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع». رواه مسلم.

وذكر بعض أهل العلم كابن القيم وغيره، أن صيام عاشوراء على مراتب ثلاث:

١- أن يصوم عاشوراء وتاسوعاء، وهذا أفضل الأنواع؛ لأن النبي ﷺ قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» يعني: مع العاشر.

٢- أن يصوم عاشوراء والحادي عشر، وهذا دون الأول.

٣- أن يصوم عاشوراء وحده، فكرهه بعض العلماء؛ لأن النبي ﷺ أمر بمخالفة اليهود، ورخص فيه بعض العلماء.

ومن الأطعمة التي تلتمس فيها البركة

١- زيت الزيتون: فإن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة». رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

٢- اللبن: لحديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بلبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين» أخرجه أحمد وابن ماجه.

٣- الحبة السوداء: كما قال النبي ﷺ: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام». رواه ابن ماجه.

٤- ماء زمزم: كما قال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم..» رواه مسلم.

من سكن مكة أو المدينة طالباً لما فيها من البركة التى أخبر عنها صلى الله عليه وسلم فقد وفق إلى خير كثير!!

٥- العجوة: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر». رواه البخاري. قال القرطبي: ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السحر والسم، والمطلق منها محمول على المقيد.

٦- العسل: قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]. وقال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي». رواه البخاري وصححه الألباني (٢/٢٥٤).

(٣٢/٤).

صور من التبرك الباطل حذرت منها الشريعة

١- التبرك بالأمكنة المباركة على غير ما ورد في الشرع، كتقبيل أبواب المساجد، والتمسح بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، والتمسح بجدران الكعبة، أو مقام إبراهيم، أو الحجرة النبوية، أو صخرة بيت المقدس، وغير ذلك.

٢- وكذلك لا يجوز التبرك بالحجر الأسود؛ لأن الأصل فيه أن يتعبد لله بمسحه وتقبيله اتباعًا للرسول ﷺ، وبذلك تحصل بركة الثواب، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك». رواه البخاري. فتقبيله عبادة محضة؛ خلافًا للعامة الذين يظنون أن به بركة حسية، ولذلك إذا استلمه بعضهم مسح على جميع بدنه تبركًا بذلك، وكذلك الحال أيضًا بالنسبة للركن اليماني، فالسنة فيه مسحه فقط، اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ. «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين.

٣- ومن ذلك أيضًا الذهاب إلى القبور، لا لقصد الزيارة، وإنما لقصد الدعاء عندها لأجل بركتها، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل. قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط

المستقيم» (ص٣٣٤): فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله، وكذلك الذهاب إلى الأضرحة الموجودة في المساجد والمنتشرة في أكثر بلاد المسلمين للأسف الشديد للاعتكاف عندها والطواف حولها والسجود على أعتابها طلبًا للبركة حتى أصبح في كل قرية- إلا من رحم الله- وثن مخصص لذلك تذبح له القرابين وترتجى عنده الحاجات وتلتمس منه البركات. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٤- قال شيخ الإسلام: مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غار ثور ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء، ولا شرع للأمة زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة، ومعلوم أنه لو كان هذا مستحبًا يثيب الله عليه، لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك، وأسرعهم إليه، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك، علم أنه من البدع المحدثة.

وقد رد الشيخ ابن باز في «فتاويه» (٣/٣٣٤) على من طلب بإحياء الآثار النبوية كطريق الهجرة، ومكان خيمة أم معبد، ونحو ذلك، فبيّن أن ذلك يجر إلى تعظيمها والدعاء عندها والصلاة، ونحو ذلك. وهذا من الوسائل المفضية إلى الشرك.

٥- وكذا الأمكنة التي صلى فيها الرسول ﷺ اتفاقًا؛ كأن يكون في سفر ونحو ذلك، ولم يقصد تخصيصها بالصلاة، فإنه لا يشرع تتبعها والتقرب إلى الله بالصلاة فيها؛ لأنها لم تكن مقصودة لذاتها، ولو جاز ذلك لكان من باب أولى الأماكن التي ارتبطت بحوادث نبوية معينة، كغار حراء، وغار ثور، وموقعة بدر، ومكان شجرة بيعة الرضوان، وغير ذلك.

روى ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٠٠) عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها وأمر بقطعها.

٦- وكذا الأزمنة المباركة، كشهر رمضان، وليلة القدر، ويوم الجمعة، وغير ذلك، إنما تلتمس بركتها بالقيام المشروع فيها من العبادات، ولو التمست بركة تلك الأزمنة بأعمال غير مشروعة لأنكر عليه، لأن التماس البركة في زمان معين أو مكان معين عبادة يقتصر فيها على المشروع.

٧- ومن ذلك تخصيص أزمنة معينة بنوع من التعظيم والاحتفال والعبادات، كيوم مولد الرسول ﷺ، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة، وغير ذلك، فالتبرك بالأزمنة على هذا النحو من البدع.

٨- ومن التبرك الباطل: التبرك بذوات الصالحين وآثارهم، فلم يؤثر عن أحد من الناس أنه تبرك بوضوء أبي بكر رضي الله عنه، أو عرقه، أو ثيابه، أو غير ذلك، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وإنما كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بوضوء النبي ﷺ وجسمه وعرقه وريقه وشعره وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ، لا يجوز أن يُقاس عليه أحد من الصالحين، ولو كان الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين، فضلاً عن غيرهم؛ لأن التبرك عبادة مبناها على التوقيف والاتباع. [انظر «الاعتصام» للشاطبي (ص٨)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٣٩)، و«رسالة التبرك المشروع» للعلياني (ص٨١)].

وللحديث بقية إن شاء الله

والله من وراء القصد.

شُعبَةُ ابنُ الحجاج

بقلم: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو بِسْطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري.

مولده: ولد سنة ثمانين، وقيل: اثنتين وثمانين في دولة عبدالملك بن مروان.

شيوخه: حدث عن: أنس بن سيرين، وقتادة ابن دعامة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن أبي كثير، وأيوب السختياني، وخلق كثير.

تلاميذه: حدث عنه: أيوب، وابن المبارك، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو داود الطيالسي، وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه

قال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق.

قال أيوب السختياني: هو فارس في الحديث.

وقال الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال لما مات: اليوم مات الحديث.

قال أحمد بن حنبل: كان شعبة أمة في هذا الشأن (يعني الحديث).

قال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين.

قال أبو زيد الأنصاري: هل العلماء إلا شعبةٌ من شعبة؟

قال وكيع: إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة درجاته في الجنة بذبه عن رسول الله ﷺ.

كان حماد بن زيد إذا حدث عن شعبة قال:

حدثنا الضخم عن الضخام
شعبة الخير أبو بسطام

قال سليمان بن المغيرة: شعبة سيد المحدثين.

قال أبو نعيم: الإمام المشهور والعلم المنشور، في المناقب مذكور، له التقشف والتعبد والتكشف عن الأخبار والتشدد، أمير المؤمنين في الرواية والتحديث، وزين المحدثين في القديم والحديث، أكثر عنايته بتصحيح الآثار والتبري من تحمل الأوزار، المتثبت المحتاج أبو بسطام شعبة بن الحجاج، كان للفقر عانقًا، وبضمان الله تعالى واثقًا.

قال الذهبي: كان أبو بسطام إمامًا ثبتًا حجة ناقدًا، جهبذًا، صالحًا، زاهدًا قانعًا بالقوت، رأسًا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرّح وعدّل. قال ابن حجر: ثقة حافظ متقن.

عبادته: قال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي.

قال أبو بحر البكراوي: ما رأيت أحدًا أعبد لله من شعبة، لقد عبدالله حتى خف جلده على عظمه واسود.

قال أبو قطن: كانت ثياب شعبة كالتراب، وكان كثير الصلاة سخيًا.

قال حمزة بن زياد: كان قد يبس جلده على عظمه من العبادة.

زهده: قال قراد أبو نوح: رأى عليّ شعبة

قميصًا فقال لي: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم. فقال لي: ويحك، أما تتقي الله، تلبس قميصًا بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصًا بأربعة دراهم وتصدقت بأربعة فكان خيرًا لك. قلت: يا أبا بسطام، إنا مع قوم نتجمل عليهم. فقال شعبة: أيش نتجمل؟ قال: إذا كان عندي دقيق ومُصْب ما أبالي ما فاتني من الدنيا.

قال عبدالرحمن بن مهدي: ما رأيت أحدًا أكثر تقشفًا من شعبة.

قال عبدان بن عثمان عن أبيه: قوّمنا بحمار شعبة وسرجه ولجامه بضعة عشر درهمًا.

من أحواله وأقواله

- قال: كل شيء ليس في الحديث سمعت، فهو نقل.

- قال: وأي شيء ألذ من أن تلقى شيخًا قد لقي الناس وأنت تستثيره وتستخرج منه العلم قد خلوت به؟

قلت: اشترط أن يكون قد لقي الناس ؛ أي العلماء ليكون علمه موثقا منضبطًا.

- قال: كل من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبدٌ. قلت: هكذا كان تعظيم الشيوخ.

- قال: ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث. وقال: وددت أني وقاد حمام (يشعل النار لتسخين ماء الحمام)، وأني لم أعرف الحديث.

قال الذهبي: كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا ويود أن ينجو كفافًا. اهـ.

نسأل الله الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يعصمنا من الفتن.

- سُئل عن ابن عوف فقال: سمنٌ وعسلٌ، قيل: فما تقول في هشام بن حسان؟ فقال: خل وزيت، قيل: فما تقول في أبي بكر الهذلي؟ قال: دعني لا أقيء به.

- وقال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أحدث عن أبي هارون العبدي.

- قال له ابن مهدي: من الذي تترك الرواية عنهم؟ قال: إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يعرف أو أكثر الغلط، أو تمادى في غلط مجتمع عليه ولم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو رجل متهم بكذب، وسائر الناس فارْوِ عنهم.

قال مكي بن إبراهيم: كان شعبة يأتي عمران بن حدير فيقول: تعال يا عمران نغتاب في الله ساعة، نذكر مساوئ أصحاب الحديث.

قُلْتُ: يعني من كان منهم من أهل السوء؛ سوء الحفظ، أو سوء المذهب ؛ وهو الجرح.

قال النضر بن شميل: سمعت شعبة يقول: تعالوا نغتاب في الله- يريد الكلام في الشيوخ.

قلت: جعل الكلام في الشيوخ، يعني تجريح المجروح والطعن فيهم قربة لله، كيف لا وهو حماية للدين وحفظ لسنة سيد المرسلين من كذب الكاذبين وخلط المغفلين.

- قال شعبة: من طلب الحديث أفلس، بعتُ طست أمي بسبعة دنانير.

- لأن أخر من السماء أو من فوق هذا القصر أحب إليّ من أن أقول قال الحكم لشيء لم أسمعه منه.

قال الذهبي: هذا والله الورع.

قال الشافعي: كان شعبة يجيء إلى الرجل (يعني الذي ليس أهلاً للحديث) فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك بالسلطان.

قال حماد بن زيد: رأيت شعبة قد لبَّب أبان بن أبي عياش يقول: أستعدي عليك إلى السلطان فإنك تكذب على رسول الله ﷺ. قال: فبصر بي، فقال: يا أبا إسماعيل. قال: فأتيته، فما زلت أطلب إليه حتى خلعته.

- وقال حماد أيضًا: لقيني شعبة بن الحجاج ومعه مدرة (طين)، فقلت: يا أبا بسطام، أين تريد؟ قال: إلى أبان بن أبي عياش أدعوه إلى القاضي فإنه يكذب. فقلت له: فإني أخاف عليك عبدالقيس. قال: فكلمته فانصرف. قال حماد: ثم لقيني شعبة بعد ذلك فقال لي: يا أبا إسماعيل، إني نظرت في ذلك فلم يسعني السكوت.

- قال: داري وحماري في المساكين صدقة، إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث.

قلت: انظر وتأمل هذا التجريح الشديد والتهديد والوعيد من أمير المؤمنين في الحديث لهذا الرجل الذي قال عنه ابن حبان: كان من العباد الذي يسهر الليل بالقيام ويطوي النهار بالصيام. وقال عنه أيوب السختياني: ما زال نعرفه بالخير

منذ كان، لا يذكره شعبة إلا بالجرح الشديد، ولم يقرن معه ذكر حسناته ؛ لأن المقام مقام تحذير وتنفير، وبذكرها يضعف التحذير.

قال أبو داود الطيالسي: كنت يومًا بباب شعبة، وكان المسجد مَلأً، فخرج شعبة فاتكأ عليَّ. وقال: يا سليمان، ترى هؤلاء كلهم يخرجون محدثين؟ قلت: لا. قال: صدقت، ولا خمسة، يكتب أحدهم في صغره، ثم إذا كبر تركه أو يشتغل بالفساد. قال: ثم نظرت بعد ذلك، فما خرج منهم خمسة، قلت: نعم ؛ لأنه لا يصبر على الحديث إلا أهله بحق، كما أنه لا يصبر على الخل إلا دوده، ومن ثبت نبت.

- قال يحيى بن سعيد: كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث، فامتنع، فقلت: لِمَ لا تحدثه؟ قال: هؤلاء قُصّاص يزيدون في الحديث.

قُلْتُ: يعني بالقصاص الوعاظ الذين لا يتقنون الحديث ولا يحفظونه، فيزيدون فيه ما ليس منه خطأً وغفلةً.

- قال له أمية بن خالد: لِمَ لا تحدث عن محمد العرزمي وعبد الملك بن أبي سليمان فإنه حسن الحديث؟ قال: من حسنها فررت. يعني أنها ليست بحسنة في الحقيقة.

- قال بقية: سمعت شعبة يقول: إني لأُذاكر بالحديث قد فاتني فأمرض.

- ركب شعبة حمارًا له، فلقيه سليمان بن المغيرة، فشكى إليه، فقال له شعبة: والله ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نزل عنه ودفعه إليه.

- قال نصر بن حماد البجلي: سمعني شعبة أحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل، فتوضأت ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وإذا أصحابه حوله، فدنوت فسمعته يقول: «من توضأ ثم دخل المسجد فصلى ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه». فقلت: بخ بخ.. فذكر الحديث(١). قال: فلطمني شعبة فتنحيت في ناحية أبكي، فقال: ما له يبكي؟ قال له ابن إدريس: إنك أسأت إليه. فقال شعبة: انظر ما يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق، أنا قلت لأبي إسحاق: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: حدثني عبدالله بن عطاء عن عقبة، فقلت: سمع عبدالله بن عطاء من عقبة؟ ومسعر حاضر، فقال مسعر: عبدالله بن عطاء بمكة، فرحلت إليه بمكة ما أردت الحج أردت الحديث، فسألت عبدالله بن عطاء عن الحديث، فقال: فقال سعد بن إبراهيم: حدثني، فقال مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، فرحلت إلى المدينة فسألت عنه سعدًا فقال: الحديث من عندكم، زياد بن مخراق حدثني، فقلت: أي شيء هذا الحديث؟ بينا هو كوفي إذ صار مكيًا، إذ صار مدنيًا، إذ صار بصريًا، فأتيت البصرة فسألت زياد بن مخراق، فقال: ليس الحديث من بابتك (أي من أحاديثك المنتقاة)، فقلت: لا بد من أن تخبرني به، فقال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر، فلما ذكر شهرًا قلت: دمّر عليَّ هذا الحديث، قال نصر بن حماد: قال شعبة: والله لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ كان أحب إليّ من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين.

قُلْتُ: سبحان الله، لو صحت هذه القصة فعجبًا من هذه الهمة العالية في طلب حديث واحد يجوب البلاد، اللهم غفرًا من تقصيرنا.

قال يحيى بن سعيد: كان شعبة من أرق الناس، كان ربما مرّ به السائل فيدخل بيته فيعطيه ما أمكنه.

وقال الخضر بن شميل: ما رأيت أرحم بالمسكين من شعبة، إذا رأى مسكينًا لا يزال ينظر إليه حتى يتغيب عن وجهه.

قلت: هكذا كان الأوائل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفاته: توفي رحمه الله سنة ستين ومائة بالبصرة.

رحم الله شعبة، وهذا غيض من فيض من أخبار هذا الإمام عليه الرحمة والرضوان، وجمعنا به مع أصحاب الحديث تحت لواء صاحب الحديث الأول سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ. والحمد لله رب العالمين.

هامش

(١) أصل الحديث المرفوع عند مسلم في الصحيح.

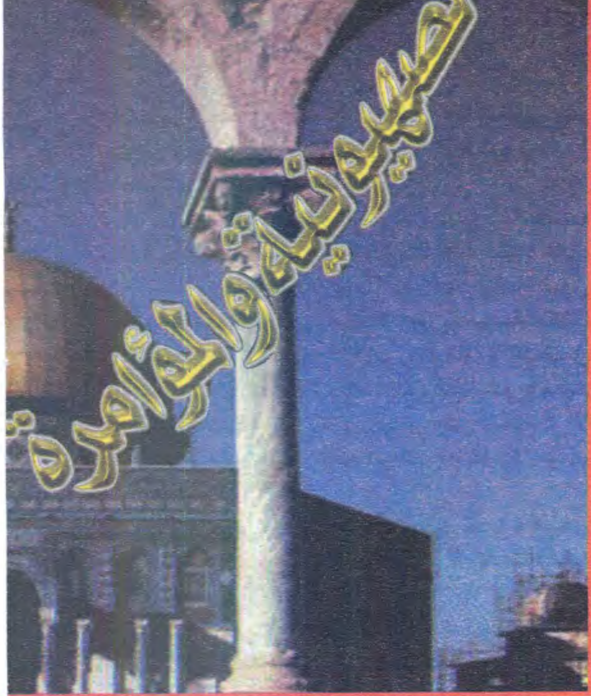

كانت رحلة الإسراء والمعراج التي قام بها رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس إرهاصًا بفتح هذه البقعة المباركة، ولذلك كان تعلق المسلمين بها كبيرًا وعظيمًا، وما لبث عمر الفاروق رضي الله عنه بعد أن استتبت أحوال المسلمين حتى جيش الجيوش لفتحها باسم الواحد القهار، فأرسل أبا عبيدة قائدًا عامًا لجيوش المسلمين في الشام، ففتح دمشق ومعظم بلاد الشام، ثم فتح الأردن وأرسل إلى أهل إيلياء: «بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وساكنيها، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول، أما بعد، فإنا ندعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانًا، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبًا للموت منكم لشربكم الخمر وأكلكم لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله تعالى حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم».

وكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه، فأقره عمر وأمره بالاستعانة بالله، ولما أبى أهل إيلياء الصلح حاصرهم أبو عبيدة حتى قبلوا الصلح واشترطوا مجيء الخليفة عمر بنفسه، فاستشار أصحابه، فأشاروا عليه بالمسير لما لبيت المقدس من أهمية عظيمة، فركب عمر إليهم، كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

فحين دخل عمر بيت المقدس صلى تحية المسجد وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة، ثم جاء إلى الصخرة المشرفة وأزال ما عليها من تراب، وكان في استقباله صفرونيوس بطريق القدس ومعه أعوانه، واشترطوا على عمر ألا يسمح لليهود بسكنى القدس، فكتب لهم عمر رضي الله عنه العهدة العمرية أو الوثيقة العمرية وخلاصتها: «هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها شيء ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود،

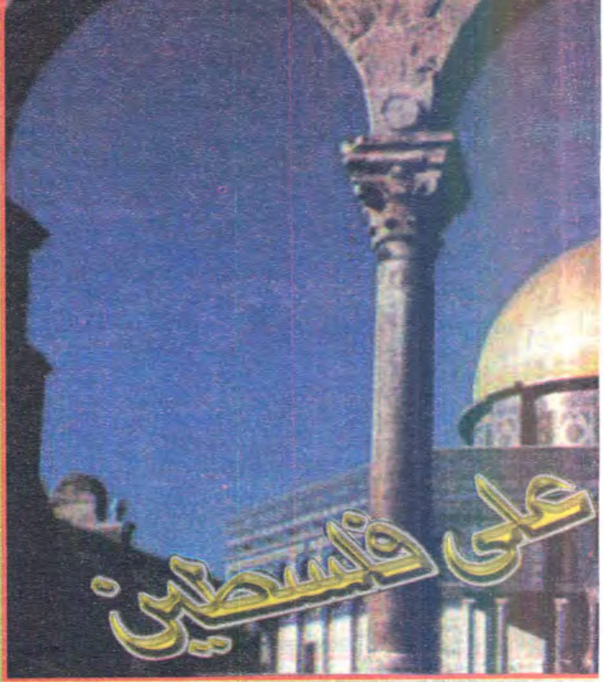

بقلم: د. الوصيف علي حزة

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن سار مع الروم سار، ومن شاء رجع إلى أهله رجع، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية». [«البداية والنهاية» (٧/٥٥ وما بعدها) بتصرف].

وشهد على هذه الوثيقة: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وذلك سنة ١٥هـ، ودخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس يوم الخميس، واستقر بها الإسلام.

والعجيب أن صفرونيوس يشترط على عمر ألا يسكن بها يهودي، ويدور الزمان دورته، فنرى نصارى هذا العصر هم الذين يسعون بكل ما أوتوا من قوة لتمكين اليهود من القدس!! تمثل ذلك في وعد «بلفور» سنة ١٩١٧م، ثم تمكين بريطانيا إبان فترة الانتداب على فلسطين لليهود من الهجرة إلى فلسطين وقيام أمريكا بالدفاع عن اليهود والصهيونية، ضاربة بذلك جميع العهود والمواثيق الدولية.

وعاشت القدس وفلسطين خالية من اليهود من عصر عمر رضي الله عنه، وحتى خلافة السلطان عبدالحميد العثماني.

فأين كان اليهود طيلة هذا الزمان، تشتتوا في الأمصار وسكنوا بلاد الفرنجة الذين أذلوهم وأرهقوهم قتلاً وحمّلوهم ما لا طاقة لهم به من الضرائب، حتى لجأ معظمهم إلى بلاد الأندلس، ولما سقطت الأندلس في أيدي الفرنجة هاجر اليهود مع المسلمين إلى بلاد المغرب، ولذلك نجد أن الجالية اليهودية في بلاد المغرب هي أكبر جاليات اليهود في بلاد المسلمين، وتمتعوا بكامل حريتهم الدينية والاقتصادية، بل إن بعضهم وصل إلى درجة الوزارة، نحو ما وقع لموسى بن ميمون الطبيب اليهودي الذي كان وزيرًا للناصر صلاح الدين الأيوبي في مصر.

حتى ذكر المؤرخون أن يهود مصر استطاعوا أن يسيطروا على ثلث الاقتصاد المصري وتجارته، مما يؤكد هذه السماحة الدينية والخلقية للإسلام، ولكن اليهود قوم

بهت، فقد تناسوا هذه السماحة واليد البيضاء التي امتدت إليهم إبان محنتهم في بلاد أوربا، ولا عجب فكل إناء بما فيه ينضح.

هذا، وقد أرسل تيودور هرتزل- مؤسس الحركة الصهيونية- نيابة عن المنظمات والجمعيات اليهودية العالمية إلى السلطان عبدالحميد فعرض على الخليفة العثماني ملايين الجنيهات الذهبية، وأن يقوم اليهود بسداد ديون دولة الخلافة وبناء أسطول خاص بالدولة العثمانية، في مقابل تمكين اليهود من الهجرة إلى فلسطين وإعطائهم قطعة أرض يقيمون عليها دولة لهم، وكان ذلك في ١٩/٦/١٨٩٦، فرد عليه السلطان عبدالحميد: «إنني أنصحكم ألا تسيروا في هذا الأمر أبدًا، لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد ؛ لأنها ليست ملكي، ولكنها ملك لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغذيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لن تقسم إلا جثثنا، ولن أقبل بتسريحنا لأي غرض». [«القدس عربية إسلامية» (ص٢١٠)].

هذا هو السلطان عبدالحميد الخليفة العثماني الذي يحرص العرب في تاريخهم الحديث على تشويه سمعته وسمعة دولة الخلافة، ويا ليتهم كانوا بديلاً عنها، ولكنهم كما يقول القائل:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ولقد تمت فصول المؤامرة بمباركة بريطانيا وحمايتها للشراذم اليهودية وطرد أصحاب الأرض من ديارهم بغير حق في أسوأ صورة من صور سرقة الشعوب في عالم يزعم أنه يدعو إلى حقوق الإنسان،

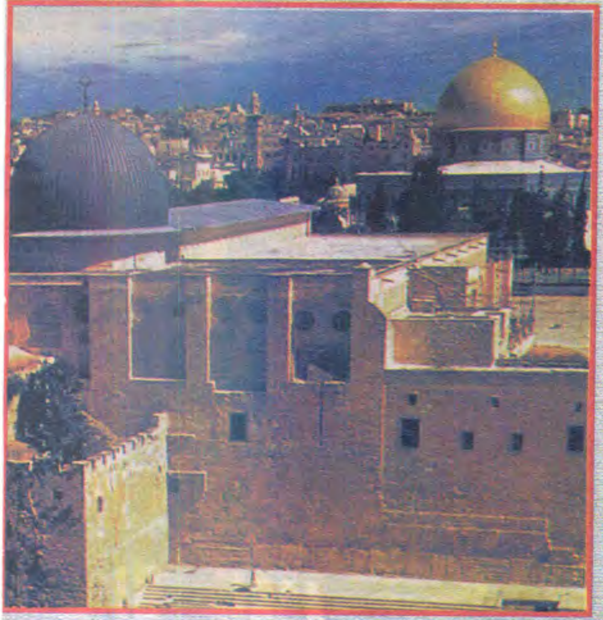

ولسان حالهم يقول:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ولقد شجعت بريطانيا الميليشيات اليهودية ؛ كالأرجون، وعصابة شتيرن بقيادة بيجن وشامير على بث الرعب والإرهاب في القرى والمدن الفلسطينية، وكانت هذه العصابات إذا حلّت بقرية أو مدينة تأتي بخيرة شبابها فترديهم قتلى وتدمر المنازل وتشعل الحرائق، ثم تترك من بقي منهم أحياء يفكر في المصير المجهول، حتى خرج معظم السكان من قراهم ومدنهم. وبعد أن كان عدد اليهود قبل الانتداب البريطاني خمسة وستين ألفًا ؛ إذ بهم يصلون في عام ٤٨ إلى ستمائة ألف صهيوني، وتم التمكين لليهود بفضل معاونة الإمبراطورية البريطانية، وتحولت المساجد في كثير من قرى فلسطين ومدنها إلى خرائب أو حظائر للمواشي، والعياذ

التوراة عن هذا، ولكن ليس في هذا الجيل، أنتم أضعف من أن تفعلوا، ونحن أقوى من أن نهزم أمامكم. فقال له المسلم: عجيب أمرك! وهل ترى هذا حقًا؟ فقال اليهودي: اسأل نفسك، ألا تقرأ صحف الصباح؟ انظر فيها لتعرف الفرق بين العرب وإسرائيل، ثم أنت تقول أن المسلمين سيهزمون اليهود، أين هم هؤلاء المسلمون؟ ولعل هذا يحدث بين أحفادنا وأحفادكم، ليس في هذا الجيل. لن نراه أنا ولا أنت. [«اليهود في مصر بين الماضي والحاضر» (ص١٤٩، ١٥٠) بتصرف].

وإذا كان الصهاينة قد خططوا قرابة مائة عام وبذلوا أموالاً طائلة لاختطاف فلسطين، تحكمهم وتدفعهم الحماسة والعصبية الدينية، فمن المؤكد أنهم لن يخرجوا من فلسطين عن طريق مؤتمرات الضعة والهوان وبيانات الاستسلام والوهن وكراهية الموت، وإنما سيخرجون على أيدي رجال ذكرهم المولى جل وعلا في سورة «الإسراء»: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

فاللهم عجل بنصرك، وأظهر عجائب قدرتك، وطهر بيتك، وهيئ للأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

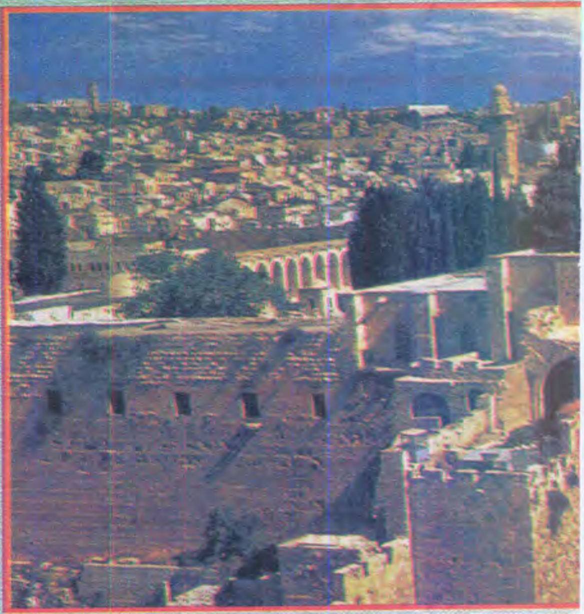

بالله.

وما يزال الملايين من أهلنا الفلسطينيين ينظرون من خلف الأسلاك الشائكة في الأردن وجنوب لبنان إلى ديارهم، وقد شابت الرؤوس، وهم ينتظرون العودة التي ينكرها عليهم العالم المتحضر، إرضاءً للصهاينة الملاعين، فإلى الله المشتكى.

ولقد كتبت على صفحات التوحيد سلسلة «أسباب النصر الموعود على شرذمة اليهود»، وكلي أمل في أن يخرج- بإذن الله تعالى- من أصلاب المسلمين قائد مقدام يحقق الحلم الإسلامي، ويطهر الأقصى من دنس اليهود.

وبهذه المناسبة أذكر هذا الحوار الذي وقع بين أحد المسلمين وبعض اليهود، يقول المسلم: عندنا في القرآن أنكم تفسدون في الأرض مرتين، وفيه أيضًا أننا نقاتلكم ونهزمكم ونطردكم من أرض فلسطين، ونحن على يقين من هذا. فقال اليهودي: ونحن على يقين مثلكم، فقد حكت لنا

من وصايا السلف

قال سفيان الثوري لعلي بن الحسن فيما يوصيه:

يا أخي، عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ- أي الصدقات- الناس أن تأكُلهُ أو تلبسهُ، فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل عليّةٍ لرجل وسفله ليس له، فهو لا يزالُ على خوفٍ أن يقع سفله، وتتهدَّم عليتُهُ.

فالذي يأكُلُ أوساخ الناس هو الذي يتكلم بهوًى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه. «الحلية».

من نوادر القضاة

قال المدائني: تنازع إلى إياس رجلان ؛ ادعى أحدهما أنه أودع صاحبه مالاً، وجحده الآخر، فقال إياس: أين أودعته هذا المال؟ قال: في موضع كذا وكذا. قال: وما كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة. قال: فانطلق فالتمس مالك عند الشجرة، فلعلك إذا أتيتها تذكر أين وضعت مالك. فانطلق الرجل. وقال إياس للمطلوب: اجلس إلى أن يجيء صاحبك. فجلس، فلبث إياس مليًا يحكم بين الناس، ثم قال للجالس عنده: أترى صاحبك بلغ الموضع الذي أودعك فيه؟ قال: لا. قال: يا عدو الله إنك لخائن. فأقر عنده، فحبسه حتى جاء صاحبه، ثم أمره بدفع الوديعة.

حكم ومواعظ

□ قال أحد السلف: لما ثَقُلَ محمد بن واسع كَثُرَ الناسُ عليه في العيادة، فدخلتُ، فإذا قومٌ قيامٌ وآخرون قعود. فقعدتُ، فأقبل عليٌّ فقال: أخبرني ما يغني عني هؤلاء إذا أُخذ بناصيتي وقدميَّ غداً، فألقيتُ في النار.

□ قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلبُ الجاهل من وراء لسانه، فإن همَّ بالكلام تكلَّم به له أو عليه.

□ قال الحسين بن عبدالرحمن: لا تسكنُ الحكمةُ معدةً ملأى.

□ قال قثم العابد: ما قلَّ طُعْمُ امرئٍ قط إلا رقَّ قلبه، ونديت عيناه.

هيا نتعلم!!

● عندما كان فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله في زيارته الأخيرة إلى الولايات المتحدة، وفي إحدى المحاضرات التي ألقاها، قال الأخ الذي قدم الشيخ: (والشيخ غني عن التعريف). فعلق الشيخ على هذه العبارة وقال: إنها لا تجوز؛ لأن الغني عن التعريف هو الله، ولكن قل: معروف لديكم.

● وفي إحدى المكالمات الهاتفية التي أتت للشيخ من المملكة العربية السعودية وهو في المستشفى بالولايات المتحدة، وكان المتكلم مع الشيخ هو أحد الأمراء يواسي الشيخ، فقال له الشيخ المريض وهو في مرض الموت: كل هذه أشياء عارضة، المهم من يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة.

من أخطاء المصلين

□ الجهر بالنية □

○ قال أبو الربيع: الجهر بالنية وبالقراءة خلف الإمام ليس من السنة، بل مكروه، فإن حصل به تشويش على المصلين فحرام.

○ عدم تحريك اللسان في التكبير وقراءة القرآن والأذكار والاكتفاء بتمريرها على القلب!! وكأن الصلاة أفعال فحسب، وليس فيها أقوال ولا أذكار.

جزاء من نال من معاوية

قال أبو الحارث (أحمد بن محمد الصائغ): وجهنا رقعة إلى أبي عبدالله، ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسيف غصبًا؟ قال أبو عبدالله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس. [إسناده صحيح].

معاوية يعظم آل البيت

كان معاوية رضي الله عنه إذا لقي الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال: مرحبًا بابن رسول الله ﷺ وأهلاً، ويأمر له بثلاثمائة ألف، ويلقى ابن الزبير رضي الله عنه فيقول: مرحبًا بابن عمة رسول الله ﷺ وابن حواريه، ويأمر له بمائة ألف.

تواضع معاوية

عن أبي شيخ الهُنائي أنه حدثه أن معاوية رحمه الله دخل بيتًا فيه عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عامر فقام عبدالله بن عامر لمعاوية يعظمه بذلك ويفخمه، فقال معاوية: اجلس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يمثل له العباد قيامًا فليتبوأ مقعده من النار».

من أقوال الصحابة في القرآن وتلاوته!!

■ قال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية منه فيحار فيها عقلي، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما لو فهموا ما يتلونه وعرفوا حقه، وتلذذوا به واستحلوا المباحات به، يذهب عنهم النوم فرحًا بما رُزقوا.

■ قال ابن مسعود: لا يسألُ أحدٌ عن نفسه غير القرآن، فمن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله.

■ قال سهل: علامة حُب الله ؛ حب القرآن.

■ قال حذيفة: يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة.

من أدرك خلافة معاوية رضي الله عنه من الصحابة والتابعين

قال الأوزاعي: أدرك خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم: أسامة، وسعد، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك. ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، ومن الدين جديده، وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن. ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله، منهم: المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث، وسعيد بن المسيب، وعبدالله ابن محيريز. وفي أشباه لهم لم ينزعوا يدًا من جماعة في أمة محمد ﷺ.

أقوال

اشتهر على ألسنة العوام عبارات وألفاظ يجب الحذر منها، ونحن في هذا الباب ننبه على بعضها ليكون المسلم على حذر منها

«يدي الحلق للي بلا ودان»

هذا القول قبيح وفيه إساءة أدب مع الله، واتهام له سبحانه بأنه يسيء التصرف في كونه وخلقه، فيعطي من لا يستحق ويمنع عمن يستحق، وبأن البشر أعلم بمواقع الفضل من ربهم عز وجل، بل لا بد من اليقين بأن الله أعلم بمواقع فضله ومنّه، يرزق من يشاء، كما أنه سبحانه يعطي الدنيا من يحب ولمن لا يحب، ويرزق الكافر والمؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

«رزق الهبل على المجانين»

هذا قول شيطاني، فالرزاق هو الله وحده، وليس أحد يملك لنفسه ولا لغيره رزقًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [الرعد: ٦٢].

فالرزق بيد الله سبحانه وتعالى، وقد كتبه وقدره قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم الله كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». رواه أحمد.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

«لا بيرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل»

كلمة خبيثة، فالله تعالى لا يؤوده شيء ولا ينازعه في سلطانه منازع، ولا يملك أحدٌ أن يمنع شيئًا من أمر الله ورحمته، قال عز وجل: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨]. فأي مخلوق هذا الذي يستطيع أن يمنع رحمة ربنا من أن تنزل على عباده.

«كتر السلام يقل المعرفة»

هذا قول خاطئ لا يجب أن يتفوه به مسلم، فالشارع الحكيم حض على إفشاء السلام؛ لأنه مفتاح الحب والمودة في الله، قال عز وجل: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم». [صحيح مسلم (٧٠٨١)]. وقال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه». [«صحيح الجامع» (٧٨٩)، و«السلسلة الصحيحة» (١٨٦)]. وقال: «إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليكم ورحمة الله». [صحيح. «صحيح الجامع» (٣٧٥)]. وقال: «السلام قبل السؤال، فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه». [حسن. ابن النجار (٣٦٩٩)]. وقال: «من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد ولا يصلي فيه ركعتين، وأن لا يسلم الرجل إلا على من يعرف». [صحيح. الطبراني (٥٨٦٩)].

واعتقادات خاطئة

«ما ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه»

هذا المثل يدعو إلى ترك النهي عن المنكر، ويمنعا الإصلاح بين الناس، ولا شك أن تشاجر الناس واشتباكهم منكر ينبغي الإسراع بتغييره، قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه». [صحيح مسلم، وأبي داود، وصحيح الجامع (٦٢٥٠)]. وقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». [حسن. أبو داود].

«اللي يحتاجه البيت يحرم على الجامع»

هذا ليس صحيحًا على الإطلاق، وهو قول يراد به البخل تمامًا بأي شيء فيه مصلحة عامة للمسلمين، والمسجد هو أعظم مصلحة عامة للمسلمين، وما كان السلف الصالح يبخلون بشيء قط لله ورسوله، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأتي بكل ما عنده ويضعه في حجر رسول الله ﷺ، ويسأله ﷺ: «ماذا تركت لأهلك؟» فيقول: تركت لهم الله ورسوله.

ولكنه قد يكون صحيحًا في الحاجات الضرورية، فغرض النفقة على الأهل والعيال فرض عين، وما يحتاجه المسجد فرض كفاية، وفرض العين مقدم، وقد قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت». فمن كان يجد كسبًا من تجارة أو عمل أو صناعة أو نحوها فلا حرج عليه أن يتصدق بماله كله، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

واحتياجات البيت لا تنتهي أبدًا، قال الله عز وجل مادحًا المحسنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. وقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

إعداد: د. طلعت زهران

«اللهم قني شر أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم»

عبارة خبيثة من جهتين؛ أولاً: هي تدعو إلى الشك في الأصدقاء وسوء الظن بهم، وقد نهانا الشارع الحكيم عن سوء الظن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ومن المعلوم أن الأخوة في الله من أعظم مظاهر الدين، بل هي تضمن للعبد أن يكون مع أخيه في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله. قال رسول الله ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه». [متفق عليه].

والجهة الثانية: أنها توهم الإنسان بانه يمكنه أن يستغنى عن عون الله ونصرته في مواجهة أعدائه، وهذا محال. قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

وهذا رسول الله ﷺ يلح على ربه في الدعاء والتضرع أن ينصره ببدر، حتى أشفق عليه الصديق رضي الله عنه وقال له: أكثرت على ربك.

والمسلمون حين ظنوا بأنفسهم الكثرة والقدرة على النصر غلبوا، وعاتبهم الله فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

فلا قوة إلا بالله، ولا نصر إلا به، فأحسن التوكل على مولاك، وسلم أمرك كله له، تكن من الفائزين بإذنه ومنه سبحانه. فاللهم قنا شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، ونعوذ بالله من شر ما خلق.

وفقنا الله تعالى لما يحبه ويرضاه.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

تحدثنا في الحلقة السابقة عن أهمية الاعتناء بالأطفال في بداية حياتهم، وأنها أهم فترة، وأن هذا الأمر يسبب قلقًا لكل أب وأم حريصين على التربية الإسلامية الصحيحة، وكما وعدنا بأن نعرض لطريقة النبي ﷺ في تربية الأطفال والاعتناء بهم، فإننا في هذه الحلقة سنذكر هديه ﷺ في الاهتمام بالنشء في مراحله المبكرة ليكون ذلك منهجًا علميًا دقيقًا ومدروسًا، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

(١) النبي ﷺ يدعو للأبناء وهم في أصلاب آبائهم:

لمَّا رد المشركون من أهل الطائف دعوة النبي ﷺ لهم للإسلام وآذَوْه، وبالحجارة رمَوْه، عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين بمكة)، عندها قال النبي المشفق الرحيم ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا». [البخاري ٢٩٩٢ كتاب بدء الخلق، ومسلم وغيره]. وقد حقق الله تعالى رجاء النبي ﷺ بإسلام أبنائهم.

كذلك يرشد النبي محمد ﷺ المسلمين لما فيه صلاح الابن مستقبلاً فيقول لهم: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، فيولَد بينهما ولد، فلا يصيبه الشيطان أبدًا». [متفق عليه]. وفي هذا توجيه إلى أن تكون البداية ربانية لا شيطانية، فإذا ذُكر اسم الله تعالى في بداية الجماع أُسِّس ما بين الزوجين على التقوى فلا يضره الشيطان بإذن الله.

ولقد أمرنا المولى جل وعلا باختيار الصالحين والصالحات عند الزواج ليكونوا قادرين على تنشئة جيل صالح، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فقال: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [سورة النور: ٣٢]. وقال ﷺ في هذا المعنى: «تخيروا لنُطَفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم». [أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ح٢٦٨٧)، وحسنه الألباني].

(٢) ويدعو لهم ﷺ وهم نطفة في رحم الأمهات:

كان أبو طلحة خارج بيته، وابنه بالبيت مريض فمات، فلم تخبره زوجته أم سليم بعد عودته، ولم تُبدِ أي مظهر من مظاهر الحزن له، بل تزينت وجهزت له عشاءه، فتعشى ثم جامعها، وبعد هذا كله أخبرته بوفاة ولده بطريقة إيمانية ذكية، فقام مغضبًا فأخبر رسول الله ﷺ بما كان من زوجته ومنه، فدعا لهما ﷺ بالبركة في جماعهما وقال: «بارك الله ليلتكما» فولدت بعدُ غلامًا سماه النبي ﷺ (عبدالله)، ومن بركة دعاء النبي ﷺ له؛ كَبِرَ وتزوج ورزقه الله تعالى من الأولاد تسعة، كلهم قد حفظ القرآن. والقصة بطولها في البخاري.

- ومن مظاهر عناية الإسلام بالطفل وهو في رحم أمه؛ ما أمر به الإسلام من النفقة للمرأة المطلقة ثلاثًا إذا كانت حاملاً، وهذه النفقة لأجل جنينها وليست لأجلها حيث قد سقطت نفقتها بطلاقها ثلاثًا.

(فالمرأة التي يطلقها زوجها ثلاثًا تَبِين منه، وتصبح أجنبية عنه لا تجب لها عليه نفقة ولا سُكْنَى على القول الراجح من أقوال العلماء رحمهم الله. إلا إذا كانت حاملاً فإنها تجب لها النفقة بالإجماع. [المغني لابن قدامة ٢٣٢/٨].

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق: ٦].

وإنما وجبت على الزوج النفقة للحامل التي

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

بقلم
جمال عبد الرحمن

بانت منه من أجل ولده الذي لا سبيل للإنفاق عليه إلا عن طريق الإنفاق على أمه التي يتغذى منها، كما قال ابن قُدامة رحمه الله: «ولأن الحَمل ولدُه فيلزمه الإنفاق عليه، ولا يمكنه النفقة عليه إلا بالإنفاق عليها، فوجب كما وجبت أجرة الرضاع..». [المغني لابن قدامة، وراجع الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٦٦-١٦٧)]. هذا في العناية به من حيث النفقة.

- ومن العناية به ؛ وقايته مما قد يؤثر على صحته، وهو في رحم أمه، ولذا أُبيح للحامل إذا خافت على جنينها أن تفطر في رمضان، كالمريض والمسافر. وقد أعفاها الشرع كما قال به بعض العلماء من الكفارة دون المرضع، قالوا: «لأن الحمل متصل بالحامل، فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضائها»، أما المرضع فيمكنها أن تسترضع لولدها. [المغني لابن قدامة ٣/١٤٩-١٥٠]. وأدخلوها في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤].

- ومن العناية بالطفل وهو في رحم أمه تأجيل العقوبة التي تستحقها إذا كان ذلك قد يؤثر على الولد أو تَحقق أن العقوبة ستقضي عليه. فقد روى عمران بن حصين رضي الله عنه أن امرأةً من جُهينة أتت النبي ﷺ، وهي حُبلى من الزنا، فقالت: يا نبي الله أصبت حدًا، فأقمه علي. فدعى نبي الله ﷺ وليها، فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها». ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشُدَّت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرُجمت، ثم صلَّى عليها. [مسلم ج ٣، ح ١٣٢٤].

وفي حديث آخر في قصة الغامدية التي اعترفت بالزنا وطلبت منه ﷺ أن يقيم عليها الحد قال لها: «فاذهبي حتى تلدي». فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدتُه، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، قالت: هذا يا رسول الله قد فطمتُه وقد أكل الطعام. «فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحُفِر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها...»). [رواه مسلم وأصحاب السنن].

(٣) ويعلمنا ﷺ أذكارًا لنزول أحدهم بالسلامة من رحم أمه:

قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب- أو في الكرب-: الله، الله ربي لا أشرك به شيئًا». وإن لحظات الولادة من أشق اللحظات على الأم وجنينها لِما فيها من المشقة والكرب وتكون الأم مكروبة فيها كربًا عظيمًا ؛ لذا علمنا رسول الله ﷺ دعاءً يُقال في مثل هذه الحالات؛ فعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت». [«صحيح الكلم الطيب» لابن تيمية].

وعنه ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبدًا هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا». [«صحيح الكلم الطيب» لابن تيمية].

(٤) ويبين ﷺ منزلته عند الله إذا سقط من بطن أمه قبل تمامه:

(وهذا ما يسمى بالسقط)، فقد ورد بشأنه أحاديث تسر السامعين، فعن معاذ بن جبل رضي

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بِسرَره(١) إلى الجنة إذا احتسبته» أي صبرت على فقده. [أحمد (٢١٠٧٦)، وابن ماجه، كتاب الجنائز (١٥٩٨)].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السقط ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها السقط المراغم ربه أدخل أبويك الجنة. فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة». [ابن أبي شيبة ج٣ ح١١٨٨٧ ومسند أبي يعلى ج١ ح٤٦٨، ومسند البزار، ج٣ ح٨١٥]. ومعنى يراغم ربه: أي يغاضبه ويتدلل عليه، يعني: يأتي السقط وهو غضبان من أجل أبيه وأمه(٢). فانظر رحمك الله إلى اهتمام الإسلام حتى بالسقط.

(٥) وبعد ولادتهم يؤذن في الأذن اليمنى للطفل:

عن أبي رافع أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة. [أبو داود، كتاب الأدب ٥١٠٥، والترمذي، كتاب الأضاحي ١٥١٤. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: والعمل عليه أي حديث أبي رافع في التأذين في أذن المولود عقيب الولادة لأنه يعتضد بحديث الحسن بن عليٍّ رضي اللهُ عنهما الذي رواه أبو يعلى الموصلي وابن السني].

قال ابن القيم رحمه الله: وسر التأذين والإقامة: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يُدخَل بها في الإسلام، فكان ذلك التلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به، وإن لم يشعر(٣). ومعروف أن الشيطان يفر ويهرب من سماع كلمات الأذان، فيسمع شيطانه ما يغيظه في أول لحظات حياته.

وهذا يبين اهتمام النبي ﷺ بعقيدة التوحيد ومطاردة الشيطان في بداية حياة المولود الجديد.

كذلك فإن الشيطان يلكز المولود حين يولد، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٤). وعن ابن عباس: ليس من مولود إلا يستهل، واستهلاله: يعصر الشيطان بطنه فيصيح إلا عيسى ابن مريم(٥). وعليه فيكون الأذان لكزة مضادة للشيطان الذي يسعى جاهدًا لإفساد الذرِّية وتدمير النشء.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الهوامش

(١) الحبل السُّري. والحديث قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٩: فيه يحيى بن عبيد الله التيمي، ولم أجد من وثقه، ولا جرحه.

(٢) النهاية لابن الأثير، باب: رغم.

(٣) تحفة المولود لابن القيم ص ٣٩-٤٠.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٧٧. ومسلم، كتاب الفضائل ٤٣٦٣، وأحمد، ٧٣٨٣ .

(٥) الدارمي (٢٩٩٩).

إشهار

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية بأنه قد تم إشهار الفروع الآتية:

١- فرع أنصار السنة المحمدية بناحية شوبك بسطة الزقازيق شرقية.

٢- فرع أنصار السنة المحمدية بناحية عزبة مظهر ههيا- شرقية.

٣- فرع أنصار السنة المحمدية بناحية كفر مكاوي- الزقازيق غرب شرقية.

وقد تم شهر الجمعيات المذكورة طبقًا لأحكام القانون رقم ٣٢ لسنة ٦٤.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تبتهل إلى الله عز وجل أن يوفقهم إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يجعل جهودهم في ميزان حسناتهم.

الأسرة المسلمة بين قوامة الرجل.. وطاعة المرأة

بقلم: حسين الدسوقي

حين خلق الله عز وجل الإنسان وأسكنه الأرض، خلقه لمقصود وغاية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وجعل الله الدنيا دار امتحان وابتلاء يفوز فيها من يفوز، ويخسر فيها من يخسر، قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وتلك هي الدنيا، كل عطاء فيها مقصوده الاختبار يستوي في هذا الأمر الذكر والأنثى سواءً بسواء، قال الله تعالى في كتابه عن مؤمن آل فرعون وهو يعظ قومه، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩، ٤٠]. وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إذن فقد سوى الله تعالى في غاية الوجود بين الذكر والأنثى، بلا أدنى فارق، بل إن من الإناث من نالت شرف السبق في ميدان التنافس في غاية هذا الوجود ؛ لأن الله تعالى بعدله ورحمته قد فتح للجميع أبواب التنافس وأزاح من أمامهم كل الحواجز، فاستوى في هذا الذكر والأنثى، والسقيم والصحيح، والغني والفقير.

والله تعالى قد ضرب المثل لأهل الإيمان في القرآن بامرأة، هي آسية امرأة فرعون، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

وتتابعت مشاهد السبق والتميز لنساء في المجتمع الإسلامي المؤمن فُقْنَ الرجال بميزان العدل الإلهي، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإذا كان كل تكليف من تكاليف رب العالمين لعباده هو سؤال من جملة أسئلة تمثل التكاليف الشرعية المخاطب بها العبد ذكرًا كان أو أنثى، فإنه على قدر الإجابة تُعطى من عند الله تعالى الدرجة، أي على قدر الامتثال للأمر والقيام به تكون المنزلة عند الله، وإن اختلفت بعض التكاليف بين الرجل والمرأة لاختلاف ما بينهما من طبيعة وقدرات قدرها العليم الحكيم سبحانه، فإن كلاً قد كُلِّف بما يناسبه، ويسَّر الله الجميع لما خلقه له، قال تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وإذا كان الرجل قد كلف

بالقوامة على أسرته، فقد كلفت المرأة في المقابل بطاعة زوجها ورعاية ولده وبيته وماله، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن منظور في لسان العرب: قد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح، ومنه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. [«لسان العرب» (١١/٣٥٥)].

فالقوامة إذن تعني المسئولية، تعني التكليف بالمحافظة والرعاية والإصلاح والدفاع، قال ﷺ: «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته». [«السلسلة الصحيحة» (١٦٣٦)].

فالقوامة للرجل تعني الجهد والتعب والسعي للقيام على رعاية أسرته، الأمر الذي يكفل للمرأة سبيل الحياة التي تليق بها.

وفي وقت تفضيل الرجل بالقوامة، فإن فضل المرأة يكون في قيامها على راحة زوجها، وتحقيق السكن له، بما يساعده على مواصلة سعيه، والقيام بمهامه، وتحقيق قوامته التي تكفل للمرأة الحياة الكريمة.

إن قوامة الرجال تحقق للنساء الراحة، وتمنع عنهن المشقة والمتاعب، والتي لا يمكن أن تكون لها إلا الرجولة التي تعني القوة والعزم والشدة.

فكيف تحزن المرأة أو تأسى على ما يجب أن تفرح به وتسعد؟!

وحين أعطى الله الرجل القوامة فقد مكّنه من أداء ما كلفه به من الرعاية والمسئولية تجاه أسرته، وهذا لكمال عقله، وحسن تدبيره، وزيادة قوته، وواجب الإنفاق على أسرته، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير في قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ونقل تفسير ابن عباس رضي الله عنه فيها، فقال: يعني أمراء عليهن.

فكيف يُكلَّف بالمسئولية من لا يملك إمرة وسلطة؟ وهل تعني الإمرة والسلطة الاستبداد والتعسف؟

أضف إلى ذلك أن المرء لا يقوم برعاية شيء وإصلاحه والاهتمام بشأنه إلا إذا كان هذا محببًا لديه غاليًا.

فالحمد لله العليم الخبير الحكيم الذي جعل من القوامة دافعًا لتأصيل المودة والرحمة التي أقام الله عليها الحياة الزوجية وأسس عليها بناء الأسرة المسلمة.

أما المرأة فهي كذلك، وفي هذا الجانب، عليها تكليف أيضًا تتكامل فيه مع الرجل لقيام العشرة الطيبة بينهما.

فكلفت بطاعة زوجها، تكليفًا مقصوده الاختبار، مما يعني أنه على قدر امتثالها تكون منزلتها كما ذكرنا.

قال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها(١) وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت». [«صحيح الجامع الصغير» (٦٧٣)].

وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى ولو سألها نفسها وهي على قتب(٢) لم تمنعه». [«صحيح الجامع الصغير» (٦٩١٥)].

وكلا النوعين- ذكر وأنثى، زوج وزوجة- في معركة واحدة ميدانها النفس، والمطلوب تحقيق الانتصار، بالقيام بالأمر والامتثال، وعلى قدر صورة الامتثال تكون المنزلة والأجر.

ولنا أن نتخيل صورة البيت المسلم الذي عرف كل فرد من أفراده واجبه ففقهه، وقام به على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، حينئذ يكون هذا البيت المسلم جنة الدنيا في أرض الله، قبل جنة الآخرة بإذن الله.

يتذوق فيه الجميع لذة الطاعة في الدنيا، قبل لذة النعيم في الآخرة.

والله الموفق.

الهوامش

(١) أي: صلت الصلوات الخمس.

(٢) القتب: رَحْل يوضع على ظهر الجمل، والمعنى: أنها لا تمنعه نفسها مهما كان انشغالها.

تحية العام الهجري الجديد

شعر: نجاتي عبد الرحمن

هي الأيام يزجيها القضاء ... ويصرعها بآيته الفناء
نعيد حسابها فينا ونحصي ... وما للمرء في الغيب اجتلاء
بربك لا تقل ذا العام ولَّى ... وقل ماذا يخبِّئه القضاء
وماذا طي أيام ستأتي ... أسعدٌ في جبينك أم شقاء
تأمل ماضي الأيام واحكم ... وسل تاريخها عما تشاء
كتابٌ لا يضلُّ ولا يحابي ... هو التاريخ شيمته الوفاء
يريك الحق مبسوطًا صريحًا ... ويحصي الظالمين ومن أساءوا
تجد عهدًا من التقوى عليه ... جلال الدين جَمَّله البهاء
تجد عهد النبيِّ وخير صحب ... رجال في شريعته أضاءوا
تجافوْا عن مضاجعهم ونادوا ... لدين الله فامتد النداء
تجد نور الهداية ليس يخبو ... به للاجئين بدا احتماء
إليه أسرعت أممٌ فلاقت ... سلامًا ما لغايته انتهاء
فلبوْا داعيَ الحق امتثالاً ... وباعوا كل غالية وجاءوا
إذا ما السلم ساد، تقًى وزهدٌ ... وعند الروع أسدٌ، بل قضاء
رجالٌ قد بنوْا للدين مجدًا ... لهم في نُصرة الدين اقتداء
ومن كانوا لدين الله عونًا ... وللدنيا عفاةٌ أتقياء
رجالٌ قد بنوْا للدين مجدًا ... رفيعًا لا يطاوله علاء
وصانوا الدين من بدع تمشَّت ... بجوهره وقد عزَّ الدواء
فهم للخطب إن جدُّوا رجالٌ ... وهم للدين إن نهضوا وقاء
رجال ليس تلهيهم حياة ... ولا جاهٌ لديهم أو ثراء
هم القوم الأولى شادوا ديارًا ... فقرَّ الصرح وارتفع البناء
إذا ردَّدت ذكراهم فإني ... أردِّد عزمةً فيها المضاء
أتى من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا ... أصول الشرع في الدنيا وساءوا
أبوْا للدين أن يعلو مقامًا ... وهاموا بالذي فيه البلاء
وقد ملأ القلوبَ الغِسلُ حتى ... فقدنا الحق وانقطع الولاء
تركنا النشء حِرًا لا يبالي ... وليس له إلى الدين انتماء
وكيف يَعِزُّ في الدنيا شقيٌّ ... جفاه الدين فازداد العناء
كذلك من يعيش بغير دينٍ ... تبدَّد شمله وذوى الحياء
جلال الدين إن تحرص عليه ... تنل خيرًا يفيض به الجزاء
فما ضلَّ السبيلَ الناسُ إلا ... بترك الدين وهو لهم ضياء
وما الشرف الرفيع يصان يومًا ... بغير مهندٍ فيه مضاء
فأين خلائق الإسلام فينا ... وأين جلاله، أين الإخاء؟
طرقنا للسياسة كل باب ... وباب الدين ليس له التجاء
ولو أنَّا ولجناه سعدنا ... مدى الأيام وازداد الصفاء

صلاة حاسر الرأس صحيحة باتفاق العلماء!!

يسأل: مصطفى مجدي جميل- ميت حمل:

هل تصح صلاة حاسر الرأس إمامًا، حيث إن بعض الناس يعتقدون أن من يصلي بهذه الهيئة فصلاته باطلة، مع ذكر الأدلة؟ وبعض الناس يعطي الإمام منديلاً يعصب به رأسه؟

الجواب: صلاة حاسر الرأس صحيحة باتفاق العلماء، ولا أعلم أحدًا من المنتسبين للعلم يقول ببطلانها، سواء كان المصلي منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا؛ لأن الرأس ليس من العورة الواجب سترها، وعورة الرجل في الصلاة عند جمهور العلماء ما بين سرته وركبتيه، فلا يجوز للرجل أن يصلي وقد كشف شيئًا من ذلك، ولكن هل يجب ستر ما زاد عن حد ما بين السرة إلى الركبة؟

نقول: يجب تغطية الكتف في الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «لا يُصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء». متفق عليه.

وهذا هو المختار عند الإمام أحمد رحمه الله، وعليه مذهبه. قال الخرقي: ومن كان من الرجال وعليه ما يستر ما بين سرته وركبته أجزأه ذلك إذا كان على عاتقه شيء من اللباس.

ومذهب الشافعي رحمه الله أن تغطية الكتف مستحب، قال في «الأُم»: وأحب إليَّ أن لا يصلي إلا وعلى عاتقه شيء، عمامة أو غيرها ولو حبلاً يضعه.

ومع هذا فيستحب للمصلي إمامًا كان أو مأمومًا أن يصلي في أكمل هيئة؛ لقول الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، ولقول النبي ﷺ: «فإن الله أحق أن يُتزين له». ومن كمال الزينة أن يلبس العمامة، خاصة وأن رسول الله ﷺ لم يثبت عنه أنه صلى حاسرًا رأسه إلا في حال الإحرام، حيث يجب كشف الرأس، ويحرم تغطيته، وليس من عرف السلف الصالح اعتياد حسر الرأس والسير كذلك في الطرقات والدخول كذلك في المساجد، بل هذه عادة أجنبية تسربت إلى بلاد المسلمين حين دخلها الكفار وجلبوا إليها عاداتهم الفاسدة.

أما ما يفعله بعض الناس حين يعطي الإمام منديلاً يعصب به رأسه، فهو من التكلف وليس من الزينة في شيء، لا في الصلاة، ولا في غيرها، ولعل هذا سببه اعتقادهم عدم صحة صلاة الإمام حاسر الرأس. والله أعلم.

الفتاوى

يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

محمد صفوت نور الدين
د. جمال المراكبي

شارك في الإجابة:
زكريا حسيني

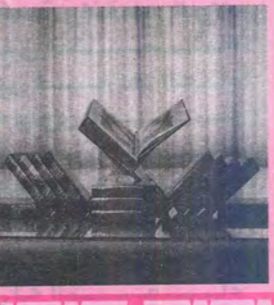

عليكِ فدية توزع على فقراء مكة!!

تسأل سائلة:

١- سيدة حجت منذ سنوات ولم تبت في منى سوى ليلة واحدة بدلاً من ثلاث ليال، فهل يلزمها هدي واحد أم هديان؟ وهل يجوز أن يُذبح الهدي ويفرق هنا في مصر أم في الحجاز؟

الجواب: يجب على هذه المرأة التي باتت بمنى ليلة واحدةً في أثناء الحج فدية ذبح شاة واحدة تذبح وتوزع على فقراء الحرم، وهذه الفدية غير هدي التمتع الذي يلزمها إن حجت متمتعة.

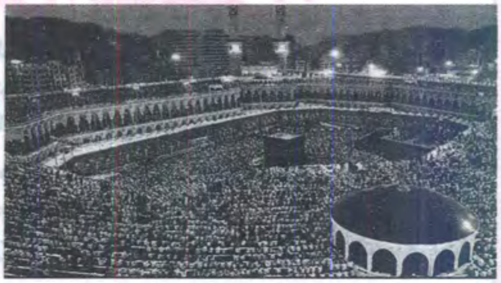

عليكِ سداد الدين لحساب التركة!!

٢- امرأة اقترضت من زوجها مبلغ ٨٠٠٠ جنيه منذ سنوات، فطلب منها أن تعطيه شقة في بيت تملكه هي وإخوتها، فاعتذرت له، ثم سامحها في هذا الدّين، ولكنها صممت على سداده، وكتبت ورقة تثبت هذا الدين، وتوفي هذا الزوج، فهل يجب على الزوجة سداد هذا الدين وإضافته إلى الميراث، أم لا ترده باعتبار أن الزوج قد أسقطه عنها برغبته؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب: إذا كان الزوج قد أسقط الدين الذي في ذمة زوجته وأبرأها منه فقد سقط عنها الدين ولا يلزمها سداده إذا كانت قد قبلت هذا الإبراء، فإذا لم تقبل هذا الإبراء، وكتبت ورقة تثبت الدين، فإنه يلزمها سداده.

وبعد وفاة الزوج يجب على الزوجة سداد الدين لحساب التركة، وتستحق الزوجة نصيبها من التركة.

فائدة: وللزوجة مؤخر الصداق تستحقه قبل توزيع التركة.

مواريث

ويسأل سائل: مات رجل وترك زوجةً وثلاثَ بناتٍ وأباه وأمه وأخوة وأخوات أشقاء، فكيف تقسم التركة؟ علمًا بأن عليه أقساط شقة تمليك؟

الجواب: للزوجة الثمن فرضًا ؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]. وللبنات الثلثان فرضًا ؛ لقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١]. وللأم السدس فرضًا، وللأب السدس فرضًا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أما الأخوة والأخوات فلا شيء لهم ؛ لأنهم محجوبون بالأب. أما بقية أقساط الشقة التمليك فتتحملها التركة. والله أعلم.

الجدار من الصعيد الطيب؟!

○ سئل: مريض لا يجد التراب فهل يتيمم على الجدار، وكذلك الفرش أم لا؟

الجواب: الجدار من الصعيد الطيب، فإذا كان الجدار مبنيًا من الصعيد سواء كان حجرًا أو كان مدرًا- لبنًا من الطين- فإنه يجوز التيمم عليه، أما إذا كان الجدار مكسوًا بالأخشاب أو مطليًا بالبونة، فهذا إن كان عليه تراب- غبار- فإنه يُتيمم به ولا حرج، ويكون كالذي يتيمم على الأرض؛ لأن التراب من مادة الأرض، أمّا إذا لم يكن عليه تراب، فإنه ليس من الصعيد في شيء، فلا يتيمم عليه.

وبالنسبة للفرش نقول: إن كان فيها غبار فليتيمم عليها، وإلا فلا يتيمم عليها؛ لأنها ليست من الصعيد.

حكم بول الطفل الصغير؟!

○ سُئل: ما حكم بول الطفل الصغير إذا وقع على الثوب؟

الجواب: الصحيح في هذه المسألة أن بول الذكر الذي يتغذى باللبن خفيف النجاسة، وأنه يكفي في تطهيره النضح، وهو أن يغمره بالماء يصب عليه الماء حتى يشمله بدون فرك، وبدون عصر، وذلك أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه جيء بابن صغير فوضعه في حجره فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله. [أخرجه البخاري].

أما بالنسبة للأنثى فلابد من غسل بولها؛ لأن الأصل أن البول نجس، ويجب غسله، لكن يستثنى الغلام الصغير لدلالة السنة عليه.

الجماع يجب فيه الغسل على كل حال!!

○ سُئل: هل يجب الغسل بالمداعبة أو التقبيل؟

الجواب: لا يجب على الرجل ولا على المرأة غسل بمجرد الاستمتاع بالمداعبة أو التقبيل، إلا إذا حصل إنزال المني فإنه يجب الغسل على الجميع إذا كان المني قد خرج من الجميع، فإن خرج من أحدهما فقط وجب عليه الغسل وحده، هذا إذا كان الأمر مجرد مداعبة أو تقبيل أو ضم، أما إذا كان جماعًا فإن الجماع يجب فيه الغسل على كل حال، على الرجل وعلى المرأة، حتى وإن لم يحصل إنزال؛ لقول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل». وفي لفظ لمسلم: «وإن لم ينزل». وهذه المسألة قد تخفى على كثير من النساء، تظن المرأة بل وربما يظن الرجل أن الجماع إذا لم يكن فيه إنزال فلا غسل فيه، وهذا جهل عظيم، فالجماع يجب فيه الغسل على كل حال، وما عدا الجماع من الاستمتاع لا يجب فيه الغسل، إلا إذا حصل الإنزال.

تأخير الصلاة عن وقتها!!

○ سُئل: هل يجوز للإنسان تأخير الصلاة لتحصيل شرط من شروطها كما لو اشتغل باستخراج الماء؟

الجواب: الصواب أنه لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها مطلقًا، وإذا خاف الإنسان خروج الوقت صلى على حسب حاله، وإن كان يمكن أن يحصل الشرط قريبًا ؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]. وكذلك النبي ﷺ وقّت أوقات الصلاة، وهذا يقتضي وجوبها في وقتها، ولأنه لو جاز انتظار الشروط ما صح أن يشرع التيمم؛ لأن بإمكانه أن يحصل الماء بعد الوقت، ولا فرق بين أن يؤخرها إلى وقت طويل، أو إلى وقت قصير؛ لأن كليهما إخراج للصلاة عن وقتها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى.

للحائض أن تقرأ القرآن إذا دعت الحاجة لذلك!!

○ سُئل: هل يجوز للحائض أن تقرأ القرآن؟

الجواب: يجوز للحائض أن تقرأ القرآن للحاجة، مثل أن تكون مُعلمة، فتقرأ القرآن للتعليم، أو تكون طالبةً فتقرأ القرآن للتعلم، أو تكون تُعلم أولادها الصغار أو الكبار، فترد عليهم وتقرأ الآية قَبْلهم. المهم إذا دَعت الحاجة إلى قراءة القرآن للمرأة الحائض، فإنه يجوز ولا حرج عليها، وكذلك لو كانت تخشى أن تنساه فصارت تقرؤه تذكُّرًا، فإنه لا حرج عليها ولو كانت حائضًا، على أن بعض أهل العلم قال: إنه لا يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن مطلقًا بلا حاجة.

وقال آخرون: إنه يحرم عليها أن تقرأ القرآن ولو كان لحاجة.

فالأقوال ثلاثة، والذي ينبغي أن يُقال هو: أنه إذا احتاجت إلى قراءة القرآن لتعليمه، أو تعلُّمه، أو خوف نسيانه، فإنه لا حرج عليها.

حكم استعمال حبوب منع الحيض !!

○ سُئل: ما حكم استعمال حبوب منع الحيض؟

الجواب: استعمال المرأة حبوب منع الحيض إذا لم يكن عليها ضرر من الناحية الصحية، فإنه لا بأس به، بشرط أن يأذن الزوج بذلك، ولكن حسب ما علمت أن هذه الحبوب تضر المرأة، ومن المعلوم أن خروج دم الحيض خروج طبيعي، والشيء الطبيعي إذا مُنع في وقته، فإنه لا بد أن يحصل من منعه ضرر على الجسم، وكذلك أيضًا من المحذور في هذه الحبوب أنها تخلِط على المرأة عادتها، فتختلف عليها، وحينئذ تبقى في قلق وشك من صلاتها ومن مُباشرة زوجها، وغير ذلك، لهذا أنا لا أقول: إنها حرام، ولكني لا أحب للمرأة أن تستعملها خوفًا من الضرر عليها.

وأقول: ينبغي للمرأة أن ترضى بما قدر الله لها، فالنبي ﷺ دخل عام حجة الوداع على أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وهي تبكي وكانت قد أحرمت بالعمرة، فقال: «ما لك لعلك نفستِ؟» قالت: نعم. قال: «هذا شيء كتبه الله على بنات آدم». [أخرجه البخاري (٢٩٤)، ومسلم (١٢١١) (١٢٠)].

فالذي ينبغي للمرأة أن تصبر وتحتسب، وإذا تعذَّر عليها الصوم والصلاة من أجل الحيض، فإن باب الذكر مفتوح، ولله الحمد، تذكُر الله وتسبِّح الله سبحانه وتعالى، وتتصدق، وتحسن إلى الناس بالقول والفعل، وهذا من أفضل الأعمال.

حكم تأخير صلاة الفجر!!

○ سُئل: عمن يؤخر صلاة الفجر حتى يخرج وقتها؟

الجواب: هؤلاء الذين يؤخرون صلاة الفجر حتى يخرج وقت الفجر، إن كانوا يعتقدون حلَّ ذلك فإن هذا كفر بالله عز وجل؛ لأن من اعتقد حل تأخير الصلاة عن وقتها بلا عذر فإنه كافر لمخالفته الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

أما إذا كان لا يرى حل ذلك، ويرى أنه عاص بالتأخير، لكن غلبته نفسه وغلبه النوم، فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، وأن يقلع عما كان يفعله، وباب التوبة مفتوح حتى لأكفر الكافرين، فإن الله يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. وعلى من علم بهم أن ينصحهم ويوجههم إلى الخير، فإن تابوا، وإلا فعليه أن يبلغ الجهات المسئولة عن هذا الأمر حتى تبرأ ذمته، وحتى تقوم الجهات المسئولة بتأديب هذا، وأمثاله.

والله الموفق.

هذه المسألة محل خلاف!!

○ سُئل: هل يسقط الترتيب بين الصلوات المقضية بسبب النسيان أو الجهل؟

الجواب: هذه المسألة محل خلاف، والصواب أنه يسقط، والدليل عموم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». أخرجه البخاري.

اهجروا السباب يا أولي الألباب

اهجروا السباب يا أولي الألباب

إعداد: صلاح عبد الخالق محمد

انتشرت بين الأطفال والشباب ظاهرة السِّباب، مما يؤذي أولي الألباب، فكان لا بد من وقفة للعتاب وتوضيح فصل الخطاب في هذا الموضوع.

النهي عن سب الدهر!!

من الناس من يسّب الأيام، فيقول: هذا يوم كذا، أو يسب الليل أو النهار أو السنين بسبب نازلة أو مصيبة حدثت له، فهذا منهي عنه؛ لأنه اعتراض على قضاء الله وقدره.

ورد في الصحيحين: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: يُؤذيني ابن آدم يسبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، أقلب الليل والنهار».

قال الإمام النووي: فإن الله هو الدَّهر، أي: فاعل النوازل والحوادث، أمَّا الدَّهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى. اهـ. «شرح مسلم» (٥/١٥).

قال المحققون: من نسب شيئًا من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر، ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد فليس بكافر، لكنه يُكره له ذلك؛ لشبهه بأهل الكفر على الإطلاق. «فتح الباري» (٥٨١/١٠).

وسب الدهر إيذاء لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال العلاَّمة السَّعدي: وهذا يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب أو شتم أو تنقص له أو لدينه أو ما يعود إليه بالأذى. «تفسير كلام المنان» (٦٧١/١).

النهي عن سب الدين!!

سب الدين- والعياذ بالله- كفر بَواح بالنص والإجماع؛ لقوله سبحانه: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ويجب أن يُنصح ويُنكر عليه ذلك، فإن استجاب فالحمد لله، وإلا فلا يجوز أن يُبدأ من يسب الدين بالسلام، ولا يُرد عليه إن بَدأ، ولا يُجاب دعوته، ويجب هجره هجرًا كاملاً؛ حتى يتوب أو يُنفذ فيه حكم الله بالقتل من جهة ولي الأمر؛ لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». أخرجه البخاري.

ولا شك أن المنتسب للإسلام إذا سب الدين فقد بدل دينه. [فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٣٤١٩) (٢/٥)].

النهي عن سب الصحابة، رضي الله عنهم

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

قال الإمام النووي: واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون. اهـ. «شرح مسلم» (٩٣/١٦). وفيه أيضًا: قال القاضي عياض: سب أحدهم- الصحابة- من المعاصي الكبائر، هو مذهبنا ومذهب الجمهور.

النهي عن سب الوالدين!!

كثيرٌ من أبناء مجتمعنا يتمازحون فيما بينهم بسب الآباء والأمهات، ولا سيما هؤلاء الشباب المائعين ويتفكهون بكيل من السِّباب والشتائم بعضهم لبعض ويتضاحكون من هذا الكلام البذيء كأنه نوع من المدح!!

أهكذا يجازي الأبناء الآباء؟ قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال العلاَّمة السعدي في قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾: وهذا أدنى مراتب الأذى، نُبه به على ما سواه، والمعنى: لا تؤذهما أدنى أذية. ﴿ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ﴾ أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلامًا خشنًا. «تفسير كلام المنان» (٤٥٦).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه». قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه، فيسب أمه».

قال ابن حجر في «الفتح» (٤١٧/١٠): قوله: فكيف يلعن الرجل والديه؟ هو استبعاد من السائل؛ لأن الطبع

المستقيم يأبى ذلك. اهـ.

النهي عن سب المسلم

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فُسوقٌ وقتاله كفر». الفسق في الشرع: الخروج عن طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان. قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باءَ بها أحدُهُما، إن كان كما قال، وإلا رَجَعت عليه».

قال الإمام النووي: من الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار، يا تيس، يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح لوجهين: أحدهما أنه كذب، والآخر أنه إيذاء. «الأذكار» (٤٥٨).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

النهي عن سب الأموات!!

ورد في صحيح البخاري (١٣٩٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا».

قال ابن حجر في «الفتح» (٣٠٤/٣): قوله «أفضوا» أي: وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر. وقال أيضًا: وأجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتا. اهـ.

وفي «صحيح الترمذي» (١٩٠/٢) ومسند الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء».

النهي عن سب الأمراض!!

في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ دخل على أمّ السائب- أو أم المُسيب- فقال: «مالك يا أم السائب- أو: يا أم المسيب- تزفزفين؟» قالت: الحُمى لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد».

تزفزفين: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

اعلم- أخي المسلم- أن جميع الأمراض والهموم التي تصيب المسلم تكفر عنه خطاياه ويمشي نقيًا من الذنوب كما تُنقي النار خبث الحديد ويصبح حديدًا نقيًا خالصًا، ولكن على المسلم أن يصبر ويحتسب؛ حتى يبلغ هذه المنزلة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

النهي عن سب الريح!!

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإن رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يسب الرياح فإنها خلق الله مطيع وجند من أجناده؛ يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء. «الأذكار» (٢٣٨).

النهي عن سب الديك!!

في سنن أبي داود وصحيح الجامع (١٦١/٦) عن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الديك فإنه يُوقظ للصلاة».

وهناك فوائد أخرى للديك، منها في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا».

والمعنى: إذا سمعتَ صوت الديك فادع الله عز وجل واسأله من فضله. قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

قال العلامة السعدي: أي من جميع مصالحكم في الدين والدنيا، فهذا كمال العبد وعنوان السعادة. «تفسير كلام المنان» (١٧٦).

قال القاضي عياض: قوله: «فإنها رأت ملكًا» كان السبب فيه رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص. «الفتح» (٤٠٦/٦).

قال الداودي: يُتعلم من الديك خمس خصال: حُسن الصوت، القيام في السحر، والغيرة، والسخاء، وكثرة الجماع. «الفتح» (٤٠٦/٦).

ويؤخذ من هذا الحديث النهي عن السب والشتم حتى للحيوان أو الطير أو البهائم. «آفات اللسان» (١٣٩).

النهي عن سب الكفار!!

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال ابن كثير (١٦٧/٢): يقول الله تعالى ناهيًا الرسول ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو «الله لا إله إلا هو». والله ولي التوفيق.

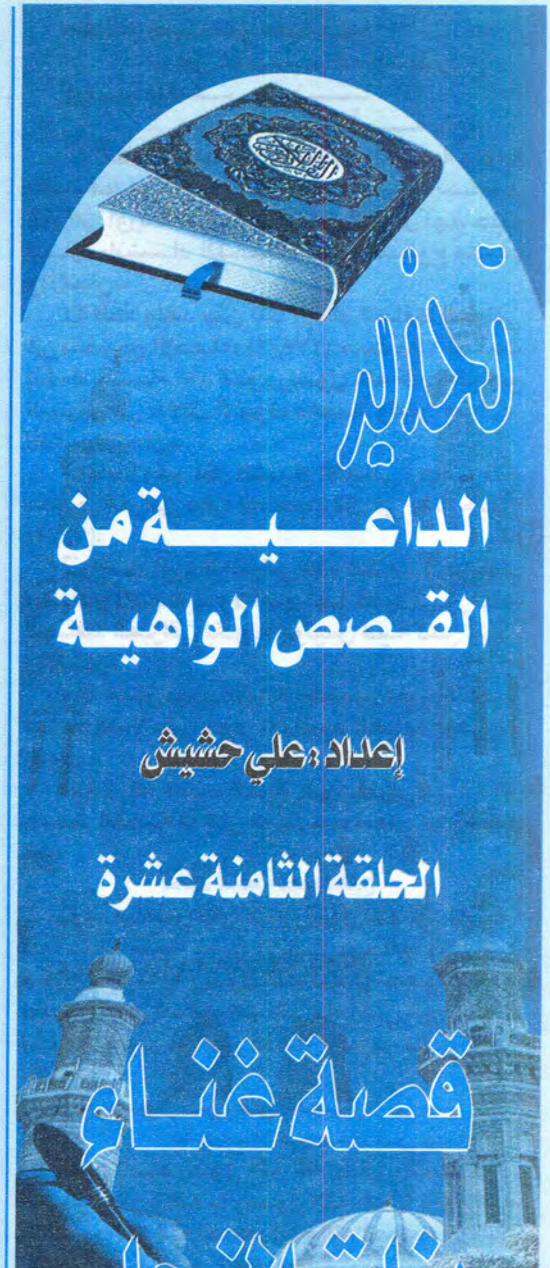

تحذير الداعية من القصص الواهية

إعداد: علي حشيش

الحلقة الثامنة عشرة

قصة غناء بنات النجار

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الناس، ويذكرها القصاص والوعاظ بمناسبة الهجرة.

ولقد اشتهرت هذه القصة بين أولادنا في الأزهر الشريف، حيث يدرسها آلاف الطلاب كل عام في مقرر السيرة النبوية للصفوف الثلاثة بالمرحلة الإعدادية، حيث جاءت القصة في (ص٨١) من الكتاب، وفيها: «ثم غادر رسول الله ﷺ «قباء»، واتجه إلى حيث كان الأوس والخزرج وهم الأنصار، يحيطون به عن يمين ويسار، وقد تقلدوا سيوفهم وامتلأت نفوسهم بالبشر والسرور، فكانت لحظات خالدة في تاريخ المدينة، وكان يومًا عظيمًا في تاريخ الإسلام، وخرج النساء والصبيان في جو من النشوة والفرح يرددون فيه هذا النشيد الجميل:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع»

وأوردها المباركفوري في كتابه «الرحيق المختوم» (ص١٧٧) تحت عنوان: «الدخول في المدينة». حيث قال المباركفوري: «وكان يومًا تاريخيًا أغر، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس، وكانت بنات الأنصار تتغنى بهذه الأبيات فرحًا وسرورًا».. ثم ذكر الأبيات.

أولاً: التخريج:

أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥٠٦/٢) قال: أخبرنا أبو عمرو الأديب، قال: أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، قال: سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم عليه السلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن... فذكره.

وقد أورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٣٨/٣) عن البيهقي بهذا السند. وسكت عنه.

ثانيًا: التحقيق:

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة ليس صحيحًا، لوجود سقط عظيم في الإسناد، فابن عائشة هذا الذي يتحدث عن دخول الرسول ﷺ المدينة، ليس صحابيًا حتى يروي ما حدث عند دخول الرسول ﷺ المدينة، وهو ليس بتابعي أيضًا، ولا حتى من أتباع التابعين، فهو من الآخذين عن تبع الأتباع، ولم يلق التابعين.

البرهـــان

ابن عـائشـة أورده الحـافظ ابن حـجـر في «التـقـريب» (٥١٥/٢) باب: من نسب إلى أبيه أو جده أو أمه، ونحو ذلك. قال: «ابن عائشة هو: عبيدالله بن محمد بن حفص».

○ قُلْتُ: لقد حدث تصحيف في اسم ابن عائشة عند الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٦٣/٢) (ح٥٩٨)، حيث أورد الاسم: عبدالله بن محمد ابن عائشة، والصواب هو: عبيدالله بن محمد ابن عائشة، يؤكد ذلك أيضًا الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٦١/١٢) ترجمة (٤٢٦٢)، حيث قال: «عبيدالله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر القرشي التيمي. أبو عبدالرحمن البصري المعروف بالعيشي وبالعائشي وبابن عائشة؛ لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، قدم بغداد».

ثم نقل عن محمد بن عبدالله الحضرمي، وأبي القاسم البغوي، وزكريا بن يحيى الساجي: أنه مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

○ قُلْتُ: لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٥٣٨/١) إنه من كبار العاشرة.

○ قُلْتُ: وهذه الطبقة بيّنها الحافظ في «مقدمة التقريب» حيث قال: «العاشرة: كبار الآخذين عن تبع الأتباع، ممن لم يلق التابعين».

○ قُلْتُ: قد تبين من بحثنا أن السند سقطت منه ثلاث طبقات رئيسة وهي: طبقة الصحابة، وطبقة التابعين، وطبقة أتباع التابعين. فأقل السقط من السند ثلاثة رواة على التوالي، وهذا النوع في «علم المصطلح» يسمى «المعضل».

حيث قال السخاوي في «فتح المغيث» (١٨٥/١): «المعضل في الاصطلاح: هو الساقط من إسناده اثنان فصاعدًا مع التوالي».

○ قُلْتُ: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية، فلا يغتر الداعية بإيرادها في هذه الكتب المشهورة، بعد أن تبين سقوطها بالسقط المتوالي في إسنادها.

وليتخذ طالب هذا الفن من هذه القصة مثالاً لعلم الحديث التطبيقي للمعضل.

بطلان احتجاج أبي حامد الغزالي

لقد احتج أبو حامد الغزالي بهذه القصة على إباحة الغناء، حيث قال في «الإحياء» (٢٧٥/٢): «ووجه جوازه: أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب، فكل ما جاز السرور به، جاز إثارة السرور فيه، ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع»

○ قُلْتُ: لقد بينا في تحقيقنا أن القصة واهية بالسقط في الإسناد، وفوق ذلك أن أبا حامد الغزالي أورد هذه القصة بزيادة لا أصل لها، حيث قال: «إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان».

○ قُلْتُ: ولقد بيّن ذلك الإمام الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٧٥/٢) حيث قال: «حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله ﷺ: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» معضلاً وليس فيه ذكر للدف والألحان».

○ قلت: وقد نقل الشيخ الألباني رحمه الله تحقيق العراقي مقرًا له، حيث قال في «الضعيفة» (٦٣/٢):

تنبيه: أورد الغزالي هذه القصة بزيادة: «بالدف والألحان»، ولا أصل لها كما أشار لذلك الحافظ العراقي بقوله: «وليس فيه ذكر للدف والألحان».

وقد اغتر بهذه الزيادة بعضهم فأورد القصة بها، مستدلاً على جواز الأناشيد النبوية المعروفة اليوم.

فيقال له: «أثبت العرش ثم انقش» على أنه لو صحت القصة لما كان فيها حجة على ما ذهبوا إليه.

شاهد للقصة غير صحيح

رُوِيَ عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله، فقال: «دعوا الناقة فإنها مأمورة»، فبركت على باب أبي أيوب. قال: فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدف وهن يقلن:

نحن جوار من بني النجار
يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أتحبوني». فقالوا: إي والله يا رسول الله. قال: «أنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، أنا والله أحبكم».

التخريج

أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥٠٨/٢) قال: أخبرني أبو الحسن: علي بن عمر الحافظ، قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن مخلد الدوري، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد. قال: حدثنا إبراهيم بن صِرْمة، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي

طلحة، عن أنس، قال... فذكره.

○ قلت: وهذه القصة نقلها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/٢٤٠) عن البيهقي بهذا الإسناد، ثم قال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن».

التحقيق

○ قلت: هذه قصة واهية أيضًا، موضوعة في غناء بنات بني النجار عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة. حيث إن علة هذه القصة: إبراهيم بن صِرْمة.

فقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٣٨/١١٥)، حيث قال: «إبراهيم بن صِرْمة الأنصاري، عن يحيى بن سعيد الأنصاري: ضعفه الدارقطني وغيره، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر المتن والسند، وقال ابن معين: كذاب خبيث».

○ قلت: فهذه قصة باطلة واهية تزيد الأولى وهنًا على وهن.

حديث لا أصل له حول هذه القصة الواهية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٨/١٢٤): «وما يروونه عن النبي ﷺ: لما قدم إلى المدينة خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقلن:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع

إلى آخر الشعر، فقال لهن رسول الله ﷺ: «هزوا غرابيلكم بارك الله فيكم» هذا لا يُعرف عنه».

تنبيه

١- لا يصح أن تتخذ هذه القصة دليلاً على إنشاد الغناء بالدف والألحان للرجال.

٢- لقد بينا في «مجلة التوحيد» في سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» الحلقة (١٥) عدم صحة حديث: «أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»، مع بيان صحة الجزء الأول منه، وهو جملة «أعلنوا النكاح».

٣- قال الحافظ في «الفتح» (٩/٦٧): «واضربوا عليه بالدف»، وسنده ضعيف.

واستدل بقوله: «واضربوا» على أن ذلك لا يختص بالنساء، لكنه ضعيف. والأحاديث القوية فيها الإذن في ذلك للنساء، فلا يلتحق بهن الرجال لعموم النهي عن التشبه بهن».

○ قلت : لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١/٥٦٥): رخص النبي ﷺ للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «التصفيق للنساء، والتسبيح للرجال». و«لعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء». ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثًا، ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم. اهـ.

٤- **بدائل صحيحة** : حول قدوم الرسول ﷺ المدينة.

بعد أن حذرنا الداعية من هذه القصة الواهية نذكر البدائل الصحيحة حول قدوم الرسول ﷺ، فقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» كتاب: مناقب الأنصار، بابًا رقم (٤٦): مَقْدِم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ثم بيان حال أهل المدينة وكيفية استقبالهم للنبي ﷺ، كما في الحديث (٣٩٢٥)، وكذلك الحديث (٣٩٠٦)، وفيه بيان أول من شهد مَقْدِم رسول الله ﷺ وكيف تلقى المسلمون رسول الله ﷺ، ثم بيان شهر دخول الرسول ﷺ المدينة ويوم الدخول، وكذلك المكان، وهذا الحديث الصحيح يصل إلى أربعين سطرًا مما لا تتحمله المساحة المخصصة بالمجلة، ونكتفي ببيان موضعه للرجوع إليه.

ومن البدائل الصحيحة حول مقدم رسول الله ﷺ والتي تبين كيفية استقبال المدينة للنبي ﷺ الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٣٠١٤) باب حديث الهجرة، فليتمسك الداعية بهذه البدائل الصحيحة.

٥- ذكر الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/١٠) أن إنشاد «طلع البدر علينا» كان عند مرجعه ﷺ من تبوك، ثم قال: «وبعض الرواة يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة وهو وَهْم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام».

٦- وأورد القصة الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/٣٠٧) شرح باب «مقدم النبي ﷺ المدينة»، وخرَّج حديثها قائلاً: أخرج أبو سعيد في «شرف المصطفى»، ورويناه في «فوائد الخلعي» من طريق عبيدالله ابن عائشة منقطعًا.. فذكر القصة، ثم قال: وهو سند معضل، ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك.

٧- قلت: فالقصة واهية بالنسبة لقدومه ﷺ من مكة، ونلاحظ أن الحافظ ابن حجر لم يجزم بقدومه من تبوك، فالقصة أيضًا بالنسبة لتبوك في حاجة إلى تحقيق، إن شاء الله.

أخي القارئ:

صحّح أحاديثك

بعد أن قدمت للقارئ الكريم في سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» هذه القصة الواهية المتعلقة بالهجرة، ثم تقديم البدائل الصحيحة، واستكمالاً للفائدة أقدم للقارئ الكريم الحلقة الرابعة من سلسلة «صحح أحاديثك» حول شهر المحرم ويوم عاشوراء.

● **الحديث**: «إن الله افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على أهليكم فيه، فإن من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه، فإنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم الذي رفع الله فيه إدريس مكانًا عليًا، وهو اليوم الذي نجى الله فيه إبراهيم من النار، وهو اليوم الذي أخرج فيه نوحًا من السفينة، وهو اليوم الذي أنزل الله فيه التوراة على موسى، وفيه فدى الله إسماعيل من الذبح، وهو اليوم الذي أخرج الله فيه يوسف من السجن، وهو اليوم الذي رد الله على يعقوب بصره، وهو اليوم الذي كشف الله فيه عن أيوب البلاء، وهو اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وهو اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وهو اليوم الذي غفر الله لمحمد ذنبه ما تقدم وما تأخر، وفي هذا اليوم عبر موسى البحر، وفي هذا اليوم أنزل الله التوبة على قوم يونس، فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة، وأول يوم خلق الله من الدنيا يوم عاشوراء، فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر، وهو صوم الأنبياء، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله مثل عبادة أهل السماوات السبع، ومن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بالحمد مرة، وخمسين مرة قل هو الله أحد، غفر الله له ذنوبه خمسين عامًا ماضية وخمسين عامًا مستقبلة، وبنى الله له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور، ومن سقى شربة ماء فكأنما لم يعص الله طرفة عين، ومن أشبع أهل بيت مساكين يوم عاشوراء، مر على الصراط كالبرق الخاطف، ومن تصدق صدقة فكأنما لم يرد سائلاً قط، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم ترمد عيناه السنة كلها، ومن أمر يده على رأس يتيم فكأنما بر يتامى ولد آدم كلهم، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء فكأنما عاد مرضى ولد آدم كلهم».

○ الحكم: الحديث ليس صحيحًا. رواه ابن ناصر عن أبي هريرة مرفوعًا، كما في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (١/١٣٠) (٨٤/٢٨٣) للإمام الشوكاني، وقال: ساقه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١٠٩/٢)، وفيه من الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ ما يقشعر له الجلد، فلعن الله الكذابين، وهو موضوع بلا شك.

قُلْتُ: وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١٥١/٢)، وقال: أخرجه ابن الجوزي من حديث أبي هريرة، وقال الذهبي: أدخل على أبي طالب العشاري فحدث به بسلامة باطن، وفي سنده أبو بكر النجار.

● **الحديث**: «من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا».

○ الحكم: الحديث ليس صحيحًا. رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعًا، كما في «الفوائد» (١٣١/١) (٣٦/٢٨٥)، وفي إسناده جويبر. قال الحاكم: أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر.

● **الحديث**: «من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء، وسع الله عليه سائر سنته».

○ الحكم: الحديث ليس صحيحًا. أورده السيد سابق رحمه الله في «فقه السنة» (٤٧٩/١)، وقال: رواه البيهقي في «الشعب»، وابن عبدالبر، وللحديث طرق أخرى كلها ضعيفة، ولكن إذا ضم بعضها إلى بعض ازدادت قوة كما قال السخاوي. اهـ.

قلت: ولقد اغتر كثير من الوعاظ بهذا القول، وإلى القارئ الكريم التحقيق: الحديث أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٦٥/٣) (ح٣٧٩١)، وآفته محمد بن يونس بن

موسى الكديمي، قال ابن عدي في «الكامل» (٦/٢٩٢) تراجم (١٧٨٠): «اتهم بوضع الحديث وسرقته». وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٣١٣): كان يضع على الثقات الحديث وضعًا، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث.

الطريق الآخر أخرجه ابن عبدالبر في «الاستذكار» كما في «اللسان» (٤/٥١٤) تراجم (٦٥٤٨) من طريق الفضل بن الحُباب أبو خليفة. قال الحافظ ابن حجر: روى عنه ابن عبدالبر في «الاستذكار» من طريقه حديثًا منكرًا جدًا.

قلت: ولقد حقق المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» (ص٩٨- ١٠٠) طرق الحديث، وبيّن ما فيها من متروكين ومجهولين، ثم رد على من قال: «طرقه يقوي بعضها بعضًا» بقوله: «بل يوهن بعضها بعضًا».

البديل الصحيح

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح. هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه.

الحديث صحيح. رواه البخاري (٤/٢٤٤) (ح٢٠٠٤)، واللفظ له، ورواه مسلم (ح١١٣٠)، وفي لفظ لمسلم: «هذا يوم عظيم أنجى الله موسى وقومه وغرّق فرعون وقومه فصامه موسى».

٢- عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله، وصيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

○ الحكم : الحديث صحيح. أخرجه أحمد (٥/٢٩٦، ٢٩٧)، ومسلم (ح١١٦٣)، وأبو داود (ح٣٤٣٥).

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ: «إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه».

الحكم : الحديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/٥٧)، ومسلم (ح١١٣٦)، وأبو داود (ح٣٤٤٣)، وابن خزيمة (ح٢٠٨٢).

٤- عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده.

الحكم : الحديث صحيح. أخرجه أحمد (٥/٩٦)، ومسلم (ح١١٣٨)، وابن خزيمة (ح٢٠٨٣).

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صام النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك، وكان عبدالله لا يصومه إلا أن يوافق صومه.

الحكم : الحديث صحيح. أخرجه أحمد في «المسند» (٢/٤)، والبخاري (ح١٨٩٢).

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

وفي رواية: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع».

الحكم : الحديث صحيح. أخرجه أحمد (١/٢٣٦)، ومسلم (ح١١٣٤)، وأبو داود (ح١٧٣٦).

● **الحديث**: «من صام تسعة أيام من أول المحرم، بنى الله له قبة في الهواء ميلاً في ميل لها أربعة أبواب».

○ الحكم: الحديث ليس صحيحًا. أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٩٩) من حديث أنس، وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ- آفته موسى الطويل- قال ابن حبان: موسى الطويل يروي عن أنس أشياء موضوعة لا يحل كتبها إلا على التعجب». اهـ.

قلت: بالرجوع إلى كتاب «المجروحين» (٢/٢٤٣) لابن حبان قال: «موسى الطويل شيخ كان يزعم أنه سمع أنس بن مالك، روى عن أنس أشياء موضوعة كان يضعها أو وضعت له فحدث بها لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».

قلت: أقر ذلك ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/١٤٨)، وابن الجوزي كما في «الفوائد» (ص٩٦).

البديل الصحيح

● **الحديث**: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

○ الحكم: حديث صحيح. أخرجه مسلم (ح١١٦٣)، وأبو داود (ح٢٤٢٩)، والترمذي (ح٧٣٧)، والنسائي (٣/٢٠٦، ٢٠٧)، وابن ماجه (ح١٧٤٢) من حديث أبي هريرة.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

«الإمامة والرد على الرافضة» لأبي نعيم الأصبهاني

اعداد: علاء خضر

المؤلف: الحافظ الكبير أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني المعروف بأبي نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية».

مولده: ولد عام ٣٣٦هـ بأصبهان.

أجاز له المشايخ وعمره ست سنين، ورحل الحفاظ إليه لحفظه وعلو إسناده.

كان أول سماع له من مسند أصبهان أبي محمد بن فارس، ومن أبي أحمد العسال وأبي الشيخ وخلائق بخراسان والعراق.

وروى عنه أبو بكر بن أبي علي الهمداني، وأبو بكر الخطيب البغدادي، وغيرهم من العلماء والحفاظ.

قال عنه حمزة بن العباس العلوي: كان أصحاب الحديث يقولون: بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقًا ولا غربًا أعلى منه إسنادًا ولا أحفظ منه.

وفاته: توفي عام ٤٣٠هـ.

موضوع الكتاب

ذكر فضائل الصحابة وبالأخص الخلفاء الراشدين والرد على الإمامية الشيعة الروافض الذين يسبون الصحابة ويطعنون في إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، وعلى قولهم أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.

أهمية الكتاب

- من أوائل الكتب التي أفردت للرد على الشيعة الروافض وعرض شبهاتهم ومناقشتها وفندتها وردتها عليهم.

- تبين عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم من ذكر فضائلهم والنهي عن سبهم.

- من المراجع المهمة في العقيدة في هذه المسألة.

منهج المؤلف

- نص المؤلف في صدر كتابه عن منهجه الذي سوف يتبعه في التأليف، فتراه يجمع ما مدح الله تعالى به الصفوة من صحابة النبي ﷺ وثبت عن رسول الله ﷺ في مناقبهم وفضائلهم ومراتبهم وثوابتهم وما اجتمع عليه الصحابة رضي الله عنهم من بعده.

- يروي كتابه هذا بالأسانيد ويعقبها بالمناقشة والترجيح لما يراه صوابًا ويدافع عن الصحابة والأئمة المهديين ضد الشيعة الروافض الأشرار.

نسخ الكتاب

يقع الكتاب في مجلد واحد بدراسة وتحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

أهم مسائل الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة بسيطة أثنى فيها على الصحابة وفضلهم وما قدموه للإسلام، وذكر اختلاف الناس في تفضيل وتقديم الخلفاء الأربعة، فمنهم من قال: إن أفضل الناس بعد الرسول ﷺ وأولاهم بالإمامة بعده أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب، ومنهم من يقول: أبو بكر الصديق ثم عمر ثم علي، ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ووقف. ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث وجمهور الأمة، ومنهم من يقول: أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد الرسول ﷺ علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهم (الإمامية) المبتدعة الأشرار.

ثم بدأ في موضوع الكتاب، وتحت عنوان: «خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه» قال: إن خير هذه الأمة الثلاثة القرون الأولى، واستدل بقوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...» الحديث.

وأخذ يرد على الإمامية الذين طعنوا في الصحابة من المهاجرين والأنصار؛ لأنهم قدموا

الصديق رضي الله عنه فقال: أكان اجتماعهم عليه على إكراه منه لهم بالسيف؟ أو تأليف منه لهم بمال أو غلبة بعشيرة؟ إلى أن قال: ولو كان شيء من هذه الوجوه، أو أريد واحد منهم على المبايعة كارهًا، لكان ذلك منقولاً عنهم ومنتشرًا فأما إذا اجتمعت الأمة على أن لا إكراه، والغلبة والتأليف غير ممكن منهم وعليهم، فقد ثبت أن اجتماعهم لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة وقدموه وبايعوه لما خصه الله تعالى به من المناقب والفضائل.

وفي رده على الشبهات التي قالتها الإمامية من تقديمها لعلي رضي الله عنه قولهم: بأن عليًا رضي الله عنه ختن رسول الله ﷺ قيل لهم: قد شاركه عثمان بن عفان وغيره رضي الله عنهما في هذا الأمر.

فإن احتج المعاند بأنه استحق الخلافة لأنه كان أولهم إسلامًا طولب ببيان ما ذكره، فإن قال: روي ذلك عنه وعن غيره. قيل له: قد روي خلاف ذلك عن عمر بن عبسة السلمي، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو نازل بعكاظ، فقلت: يا رسول الله، من معك في هذا الأمر، قال: «رجلان أبو بكر وبلال»، فأسلمت عند ذلك، فلقد رأيتني رابع الإسلام.

فإن قال أوصى إليه رسول الله ﷺ وعهد إليه بالخلافة، قيل له: قد روى خلاف ذلك.

فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما ترك رسول الله درهمًا ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء.

ولقد سُئل علي رضي الله عنه فيما رواه عنه أبو جحيفة وغيره: هل خصك رسول الله ﷺ بشيء؟ قال: ما هو إلا كتاب الله وفهم يؤتيه الله من شاء في الكتاب، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه نفسه أنه قال: ألا أخبركم بخير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وبعده عمر رضي الله عنهما.

ومن الأدلة التي تثبت إمامة أبي بكر قوله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «ادعوا لي عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه اكتب كتابًا لا يختلف بعدي». ثم قال: «دعه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر».

وغيرها من الشبهات التي طعنوا بها على خلافة أبي بكر الصديق فبينها المؤلف رحمه الله وناقشها وردها عليهم.

وفي خلافة عمر بن الخطاب قال المؤلف رحمه الله: فإن اعترض المخالف فقال: لم يكن له أن يفوض أمر الخلافة إلى عمر دون المسلمين. قيل له: لما علم الصديق رضي الله عنه من فضل عمر رضي الله عنه ونصيحته وقوته على ما يقلده، وما كان يعينه عليه في أيامه من المعونة التامة لم يكن يسعه في ذات الله ونصيحته لعباد الله تعالى أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره... إلى أن قال: فرضي المسلمون له ذلك وسلموه، ولو خالطهم في أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه ولم يتابعوه... إلى أن قال: وإن إمامته وخلافته تثبت على الوجه التي ثبتت للصديق.

ثم أخذ المؤلف يعرض شبهات ويرد عليها، ثم ذكر فضائل عمر وقوته وعدله وإيمانه وفراسته رضي الله عنه.

ثم انتقل إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: فاجتمع أهل الشورى ونظروا فيما أمرهم الله به من التوفيق وأيدوا أحسن النظر والحياطة والنصيحة للمسلمين، وهم البقية من العشرة المشهود لهم بالجنة، واختاروا بعد التشاور والاجتهاد في نصيحة الأمة والحياطة لهم عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لما خصه الله به من كمال الخصال الحميدة والسوابق الكريمة، وما عرفوا من علمه الغزير وحلمه... إلى أن قال: واجتمعوا عليه راضين به محبين له. وأخذ يفند شبهات وافتراءات قيلت عليه تنقص من فضله، مثل تغيبه في بدر، وتخلفه عن بيعة الرضوان، فرد المؤلف عن تغيبه في بدر بأثر عن ابن عمر عندما جاء رجل من مصر حاجًا، فقال له: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، أنشدك الله بحرمة هذا البيت، هل تعلم أن عثمان تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ فقال: نعم، ولكن أما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ فمرضت، فقال له رسول الله ﷺ: «لك أجر رجل شهد بدرًا وسهمه».

وقال زائدة في حديثه: ومن ضرب له رسول الله ﷺ فيها بسهم فقد شهد.

وأما بيعة الرضوان، فرد المؤلف بحديث أنس رضي الله عنه الذي قال فيه: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، يبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب إحدى يديه على الأخرى، فكان يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم.

وأما إعلالهم بترك إنكار الصحابة رضي الله عنهم على من حصروه، فلقد شرعوا إلى الإنكار عليهم واستعدوا لمدافعتهم ومقاتلتهم، ولكن لم يظهر القوم قتله، وإنما أظهروا المعيبة. إلى أن قال: وكان يمنعهم من ذلك ويعزم عليهم أن لا يراق فيه محجم من دم.. وقال: ممن أنكروا وبالغوا في الإنكار زيد بن ثابت، وعبد الله بن سلام، وابن عمر، وأبو هريرة، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم. وعن نافع قال: لبس ابن عمر يومئذ الدرع مرتين، وعرض على عثمان بن عفان نصرته، وذكر له بيعته، فقال: أنتم في حل من بيعتي، وفي حرج من نصرتي، فإني لأرجو أن ألقى الله سالمًا مظلومًا. فلم يثبت بحمد الله على عثمان رضي الله عنه مما ادَّعوا شيئًا؛ لما استحق بما ادَّعوا القتل وانتهاك الحرمة وشق العصا وتفريق الجماعة.

فأخذ يفند شبهات وافتراءات على عثمان رضي الله عنه ويناقشها ويردها عليهم، وذكر فضائله واستحقاقه للإمامة.

وقال المؤلف أيضًا: فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استذلال الشيطان إياهم.

ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ [الحشر: ١٠]، فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد، وهو لهم غفور... إلى أن قال: فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه.

ثم قال في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه، ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا لقديم سابقته، وتقدمه في الفضل والعلم وشهود المشاهد الكريمة... فتولى أمر المسلمين عادلاً زاهدًا، آخذًا في سيرته بمنهاج الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله شهيدًا.

ثم قال في قتال الصحابة: فإن قال قائل: فما الذي اقتتلوا عليه- يعني سهل بن حنيف وعمار بن ياسر- قيل له: اقتتلوا على الدين؛ لأن عليًا رضي الله عنه رأى أن يعقد من عقد له على قتال من خالفه على ذلك، فقاتلهم لأجل ذلك.

ورأى طلحة والزبير أن ذلك لا يصلح لهما فتأخرا عنه، وكانا عند علي أنهما فيمن بايع لم يختلفا عليه، ورأى علي أنه أحق، ممن بقي بالخلافة وأنه لا يسع طلحة والزبير رضي الله عنهما تخلفهما عنه، فقصدهما ليردهما عن رأيهما ورأي طلحة والزبير أن يدافعا عن دينهما، فكل اجتهد في الرأي، وأدى اجتهاد كل واحد منهم إلى ما دعا إليه، وثبت عليه، فأما سعد بن أبي وقاص وابن عمر وطبقتهم فرأوا القعود والكف، وأن لا يبايعوا أحدًا من الفريقين. إلى أن قال: وكل واحد منهم رضي الله عنهم قصد الرشد وابتغى الصواب، والله تعالى يثيبهم على ما قصدوا واجتهدوا من الخير والصلاح.

فلم يختلف أحد من أهل العلم في كل زمان أن أصحاب رسول الله ﷺ فيما اختلفوا فيه واجتهدوا فيه من الرأي مأجورون محمودون، وإن كان الحق مع بعضهم دون الكل.

وقال: فمن سبهم بسبب حروبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل على أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، فلا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين.

وقال في الإمساك عن ذكر الصحابة: نقتدي في ذلك بكبار الصحابة الذين شاهدوا حربهم فكفوا وقعدوا لإشكال ذلك عليهم، فإذا كان لهم في قربهم منهم ومشاهدتهم لهم أن يكفوا ويقعدوا، فنحن في تأخرنا وتباعدنا عنهم أولى أن نسكت عنهم ونكف المسبة التي تعرض في ذلك.

لا تقربوا الزنى

إعداد: أيمن محمد الصيحي

○○ أحباب الله وأحباب رسول الله ﷺ، هيا بنا نرى حال هؤلاء الزناة في الآخرة حتى نستطيع أن ندفع عن أنفسنا هذا المصير الأليم الذي لا قِبل لنا به، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وعقوبة الزاني المحصن كما جاء في السنة المشرفة هي القتل رجمًا بالحجارة، وهي قتلة من أشنع القتلات، جزاءً وفاقًا للجرم الذي ارتكب، يعذب الزناة في قبورهم إلى يوم القيامة على النحو الذي جاء في حديث رؤيا النبي ﷺ التي رأى فيها صورًا من عذاب القبر، فقد ذكر ﷺ أنه جاءه جبريل وميكائيل، فقال: «انطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات، فقاد فاطلعنا، فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا- أي صاحوا من شدة حره- فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الزناة والزواني، يعني الرجال والنساء، فهذا عذابهم في القبر إلى يوم القيامة». أخرجه البخاري ومسلم. نسأل الله العافية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك. [أخرجه البخاري ومسلم].

ومن مفاسد الزنا وعواقبه الوخيمة أن يعمي القلب ويطمس نوره، وأنه يحقر النفس ويقمعها، ويسقط كرامة الإنسان عند الله وعند خلقه، وأنه يؤثر على نقصان العقل، وأنه يمحق بركة العمر ويضعف في القلب تعظيم الله، ويوجب الفقر ويكسب صاحبه سواد الوجه، وثوب المقت بين الناس، وأيضًا يشتت القلب ويمرضه، ويجلب الهم والحزن والخوف، ويباعد صاحبه عن الملك، ويقربه من الشيطان.

فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدة الزنا، ولهذا شُرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها، ولو بلغ العبد أن امرأة من نسائه قد قتلت لكان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت.

فيا أحباب الله، احذروا الخلوة والاختلاط- المستهتر والتبرج- فإنهما والزنا رفيقان لا يفترقان، وصنوان لا ينفصمان غالبًا.

واعلموا أن الستر والصيانة هما أعظم عون على العفاف والرصانة، وأن احترام القيود التي شرعها الإسلام في علاقة الجنسين هو صمام الأمن من الفتنة والعار والفضيحة والحزن، واحذروا أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تغزوكم في عقر داركم وهي تدعوكم ونساءكم وأبناءكم إلى الافتتان، وتضعف الإيمان، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا. يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

بين السنن والمبتدعات في خرافات

عن أم سلمة قالت: كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يومًا، وكنا نطلي وجوهنا بالورس(١) من الكلف. [رواه الخمسة إلا النسائي].

وعنها قالت: كانت المرأة من نساء النبي ﷺ تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس. [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه].

فيتلخص أن مدة النفاس أربعون يومًا، ولا صلاة على النفساء إلى الأربعين، إلا إذا انقطع الدم، ولا إعادة عليها لا في أيام حيضها ولا في أيام نفاسها، بخلاف الصوم فعليها إعادته فيهما، ولا بد من ذلك؛ لأنه لا يتكرر يوميًا فتحصل بإعادته المشقة شهريًا، وإنما مشقة إعادة الصوم مرة سنويًا.

خرافات وبدع أيام النفاس !!

ما يكتب لعسر الولادة ويعلق، أو يمحى ويشرب، أو يرش على بطن المرأة؛ كالفوائد التي في مثل كتاب «الرحمة في الطب والحكمة»، و«تسهيل المنافع»، و«شمس المعارف» وغيره، يجب أن يعلم أنه باطل كله، بل وكله شرك، ولا يجوز العمل به، وما يروى في ذلك من الأحاديث فكله واهٍ أو موضوع. والعمل به ضار على العقول والمعتقدات والأرواح والأخلاق.

ثم إن ولدت الحامل ذكرًا فليلتها سعيدة، الكل يستبشر ويبارك لها. ويفرح ويهنئها، ويعطيها. ويزغردن لها ويصفقن ويرقصن. وقد يخلع البعض عمائمهم ويتحزمون بها ويرقصون لها، وإن ولدت بنتًا فيا سوء حظها. ويا شدة بلائها وغمها وحزنها، فكم تسمع هذه المسكينة من ألفاظ وقحة بذيئة، من أم زوجها وأقاربه، كأنها ارتكبت شر جريمة. ولهذا لا ينفقون عليها بعض النفقات الواجبة، والكل يتمنى للمولودة الموت، ولا سيما إذا كان لها أخت أو أختان، والغارة الكبرى تكون عند مجيء زوجها آخر النهار، فعندما يعلم بالحادث يطلقها ثلاثًا. أو يحلف بالطلاق ليتزوجن عليها.

فإليك يا أرحم الراحمين نبرأ من هؤلاء الذين ﴿ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]. وقد ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار». رواه البخاري ومسلم. وفي لفظ: «من ابتلي بشيء من هذه البنات فصبر عليهن، كن له حجابًا من النار». وقال ﷺ أيضًا: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه. رواه مسلم. ولفظ الترمذي: «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين»، وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها.

اللهم وفق علماءنا لتبليغ هذا النور للأمة التي تعيش في جهلها وبلائها وسقوطها.

ومن هذه الخرافات: أنهن يوجبن الضحك على من ترمي المشيمة التي يسمينها «الخلاص»، هذا وإلا عاش المولود كاشرًا عابسًا. والأفضل عندهن إلقاؤه في ماء جار، وهو الجهل الفاضح.

إيقاد الشموع ليلة سابع المولود !!

ومنها: إيقادهن الشموع ليلة سابع المولود إلى الصباح، وإلباسهن الإبريق حلي الذهب،

النساء وبدعهن أيام النفاس !!

كتبه: محمد بن عبد السلام الشقيري

وطبخهن الأرز باللبن، ورش القابلة للحبوب المخلوطة مع ذكرها لألفاظ تشبه رقية عاشوراء.

اعتقاد فاسد !!

ومنها: أنهن يشحذن نقودًا للمولود من سبعة أشخاص اسم جميعهم محمد ليعيش، وهذا حرام واعتقاد فاسد.

ومنها: أنهن يسمينه اسمًا قبيحًا ليعيش، كفلفل، وجعلص، وترش، وخيبة، وجحش، وبتلو، أو يسمينه باسم شيخ من مقدسيهم ليكون من محاسيبه.

وقد يهبنه خادمًا لشيخ من هؤلاء أيضًا فيعيش سادنًا شحاذًا على قبر ذلك الميت، وكل هذا حرام ومخالف لشرائع الإسلام، بل هدم لأركان هذا الدين القويم.

والمطلوب شرعًا أن نؤذن الأذان الشرعي في أذنه اليمنى، وأن نسميه اسمًا حسنًا، ونعق عنه يوم سابعه، والعقيقة ذبح شاتين للذكر، وشاة للأنثى، وإطعام الفقراء والمساكين منها.

تعليق الحجب للأطفال !!

ومن أباطيلهن: تعليق الحجب للأطفال، وتعليق الصلبان عليهم، وذهابهن إلى القسيسين والرهبان لذلك. وهذا من الكبائر والكفر الصريح، وفي الحديث: «من تعلق شيئًا وكل إليه»، و: «من علق فقد أشرك».

ومن الجهالة الفاضحة اعتقادهن أن النفساء إذا دخل عليها حالق رأسه أو لحيته، أو من يحمل لحمًا أو بلحًا أحمر أو باذنجانًا، أو من أتى من الجبانة فإنها تشاهر بذلك، أي لا ينزل لبنها لولدها، وتتأخر عن مواعيد الحمل، ولا تفك هذه المشاهرة إلا إذا خرجت نفسها- أي المرأة التي دخلت عليها- فتلتقط دمها في قطعة من القطن، ثم تأمرها فتبول على القطنة، ثم تضعها بعد ذلك في قبلها، ولا تهدأ ثورتها إلا بذلك، ولا شك أن هذا الاعتقاد الفاسد؛ هو من عوامل سقوط الأمم والشعوب؛ لأن النساء اللاتي شأنهن ذلك لا يستطعن تربية أبناء صالحين للكفاح والنضال عن الدين والدنيا.

وأفضح من هذه الجهالة، أن المرأة إذا مات ولدها ودفن وتأخرت عن الحمل، تذهب إلى المقبرة فتنبش عليه قبره، معتقدة أن تأخيرها عن الحمل لم يكن إلا بسبب انقلابه على وجهه في القبر، فتعدله وتتخطاه سبعًا، وتخرج مطمئنة بأنها ستحمل قريبًا.

والتي تأخر حملها منهن أيضًا إذا عثرت على قتيل حطمه القطار أو الترام، هرعت إليه مسرعة فتتخطاه سبع مرات لتحمل.

وإنما الواجب عليهن معالجة أرحامهن، والالتجاء إلى الله بالدعاء، كما قال نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤- ٦]، فقال الله له: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

والله من وراء القصد.

---

(١) الورس: نبات أصفر باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه، والكلف: لون بين السواد والحمرة.

الأخلاق في الإسلام

٢

بقلم: عاطف التاجوري

قلنا في مقال سابق: إن الأخلاق يمكن أن تُكتسب، ولكنها تختلف عن غيرها من المكتسبات، فلا تكتسب حتى تصير عادة في النفس راسخة وطبعًا وسجية تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، وهذا يتضح من التفسير اللغوي والشرعي لكلمة الإخلاق.

إذن فليس المقصود من الكتابة في هذا الموضوع هو مجرد معرفة الأدلة والنصوص وأقوال العلماء في الإخلاق، ولكن المقصود الأول هو محاولة اكتساب هذه الأخلاق، والتخلق بها، وتدريب النفس عليها حتى تصير ملكة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

وعلى هذا تدل الأدلة من القرآن والسنة، والتي ذكرناها في المقال السابق، وعلينا أن نستحضر هذا المقصود عند حديثنا عن أي خلق من الأخلاق، سواء المحمودة لتكتسب، أو المذمومة لتجتنب، وحديثنا في هذا المقال عن :

الإخلاص

التعريف اللغوي للإخلاص:

قال ابن منظور في «لسان العرب»: خلَص الشيء بالفتح يخلص خلوصًا وخلاصًا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وأخلصه وخلصه. (نشب: أي تعلق به شيء).

وأخلص لله دينه: ترك الرياء فيه. وأخلص الشيء: اختاره، وقد قُرئ: (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (بكسر اللام) و«المخلَصين» (بفتح اللام). قال ثعلب: يعني بـ«المخلِصين» (بكسر اللام) الذين أخلصوا العبادة لله. وبـ«المخلَصين» (بفتح اللام) الذين أخلصهم الله عز وجل.

قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (بفتح اللام)، وقرئ «مخلِصًا» (بكسر اللام)، و«المخلَص» (بفتح اللام) الذي أخلصه الله، جعله مختارًا خالصًا من الدنس، و«المخلِص» (بكسر اللام) الذي وحد الله تعالى خالصًا، ولذلك قيل لسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاق.

قال ابن الأثير: سميت بذلك لأنها خالصة في صفة الله تعالى وتقدس، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله عز وجل، وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد، وقوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (بفتح اللام)، وقرئ «المخلِصين» (بكسر اللام)، فـ«المخلَصون» (بفتح اللام) المختارون، و«المخلِصون» (بكسر اللام) الموحدون. والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء، وقد أخلصت لله الدين.

وفي «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: أخلص لله: ترك الرياء. وفي «نضرة النعيم» في خُلق الإخلاص تحت عنوان: الإخلاص لغة: والخالص كالصافي، إلا أن الخالص مازال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصافي قد يقال لما لا شوب فيه.

التعريف الاصطلاحي:

قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]. هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: وقد تنوعت عباراتهم في الإخلاص والصدق والقصد واحد. فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة. وقيل: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين. وقيل: هو التوقي عن ملاحظة الخلق حتى عن نفسك. والصدق التنقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يَتِمَّان إلا بالصبر.

ومن كلام الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص أن يعافيك الله منهما. اهـ.

وفي موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي: وعن علي رضي الله عنه: لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول، وقال بعضهم: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

واعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصًا، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصًا.

ومن الأحاديث الهامة في هذا الباب:

- عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له». فأعاد ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتغي به وجهه».

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غيرفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه». زاد فيه علي بن محمد: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم». رواه

ابن ماجه. قال محقق «جامع الأصول»: وإسناده صحيح.

تحقيق الإخلاص

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في «مدارج السالكين» ما ملخصه: إن تحقيق الإخلاص يتطلب ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: عدم ملاحظة العمل، ويتضمن ذلك عدم طلب العوض عن العمل وعدم الرضا به.

فالذي يخلصه من رؤية عمله مشاهدة منَّة الله عليه وفضله وتوفيقه له، وأنه بالله لا بنفسه، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فالذي يخلص العبد من هذه الآفة: معرفة ربه، ومعرفة نفسه، والذي يخلصه من طلب العوض عن العمل علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرة؛ إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته.

والذي يخلصه من رضاه بعمله أمران:

أحدهما: مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلما تجد عملاً من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل، وللنفس فيه حظ.

سُئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد». فإذا كان هذا التفات طرفه لحظة، فكيف بالتفات قلبه إلى ما سوى الله؟

الثاني: علمه بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية، وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفها حقها، أو يرضى بها لربه، فالعارف لا يرضى بشيء من عمله لربه ولا يرضى نفسه لله طرفة عين، ويستحي من مقابلة الله بعمله، فسوء ظنه بنفسه وعمله وبغضه لها وكراهة أنفاسه وصعودها إلى الله يحول بينه وبين الرضا بعمله والرضا عن نفسه.

الدرجة الثانية: الخجل من العمل وتوفير الجهد في تصحيحه ورؤيته أنه منة من الله.

فخجله من عمله وهو شدة حيائه من الله؛ إذ لم ير ذلك العمل صالحًا له، مع بذل جهده فيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قال النبي ﷺ: «هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه».

ثم عليه أن يجتهد في تصحيح العمل، محتميًا عن شهوده للعمل من نفسه، وعليه أن يرى أن هذا العمل منَّة من الله تعالى وليس من عند نفسه.

الدرجة الثالثة: أن يجعل عمله تابعًا للعلم، موافقًا له، مؤتمًا به، يسير بسيره، ويقف بوقوفه، ويتحرك بحركته، ناظرًا إلى الحكم الديني، متقيدًا به، فعلاً وتركًا، ويسير معه بقلبه شاهدًا للحكم الكوني القضائي الذي تنطوي فيه الأسباب والمسببات، فيكون قائمًا بالأمر والنهي، فعلاً وتركًا، وبالقضاء والقدر إيمانًا وشهودًا.

وهذان الأمران هما عبودية هاتين الآيتين: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

فترك العمل يسير سير العلم مشهد: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، وسير صاحبه مشاهدًا للحكم مشهد: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم يلخص ذلك كله في هذه الكلمات: الإخلاص عدم انقسام المطلوب، والصدق عدم انقسام الطلب، فحقيقة الإخلاص توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق توحيد الطلب والإرادة، ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض والمتابعة، فإن عدم الإخلاص والمتابعة انعكس سيره إلى الخلف، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد، وإن اجتمعت له الثلاثة، فذلك الذي لا يجارى في مضي سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومما يعين أيضًا على تحقيق الإخلاص ما ذكره القاسمي رحمه الله تعالى في «موعظة المؤمنين»، حيث قال: وقد جرى العرف على تحقيق اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، فإذا امتزج قصد التقرب بباعث آخر من رياء أو غيره من حظوظ النفس فقد خرج عن الإخلاص، ومثاله أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من عدوٍّ له، أو يصلي بالليل لغرض دنيوي، أو يتعلم العلم، أو يخدم العلماء لذلك، أو يعود مريضًا ليعاد إذا مرض، أو يشيع جنازة لتشيع جنازة أهله، أو يفعل شيئًا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به، وينظر إليه بعين الصلاح والوقار، فمهما كان باعثه التقرب إلى الله تعالى، ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، وتطرق إليه الشرك.

وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويحيل إليه القلب، قل أم كثر، إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه، فإن الخالص من العمل هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى، وهذا لا يتصور إلا من محب لله لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار؛ ولذا كان علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على القلب، فإن ذاك ييسر الإخلاص، وكم من أعمال يتعب فيها الإنسان ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورًا؛ لأنه لا يرى وجه الآفة فيها، فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق. اهـ.

رزقنا الله تعالى الإخلاص في القول والعمل. والحمد لله رب العالمين.

وقفات مع القصة في كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

القسم الثاني — الحلقة الأولى

بقلم: عبد الرازق السيد عيد

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الفوز والفلاح لمن اتبع منهج الرسل إجمالاً، واتبع خاتم النبيين محمدًا ﷺ تفصيلاً.. وبعد:

أخي القارئ الكريم، وقف بنا الحديث في آخر لقاء عند نهاية قصة فرعون مع موسى عليه السلام، والتي انتهت بهلاك فرعون وقومه. وقد وقفنا في حينها مع ما فيها من دروس وعبر.

واليوم بحول الله وطوله ومدده نبدأ مع الحلقة الأولى من القسم الثاني ؛ ألا وهو: قصة بني إسرائيل مع موسى، عليه السلام.

وإن كانت لنا وقفات مع ما سبق من القصة، فستكون لنا وقفات أيضًا مع ما سيأتي من أحداث قد تطول أو تقصر بحسب موضعها من القصة، ولكنها في جميع الأحوال ستكون أعجب وأغرب.

ولا أريد أن أسبق الأحداث، ولنترك لكل درس موضعه، ولنشرع فيما قصدناه مستعينين بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩].

عجيب أمر هؤلاء القوم الذين منَّ الله عليهم بالنجاة من فرعون وقومه، ثم بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا أنفسهم دار البوار، يمرُّون في طريقهم على قوم يعكفون على أصنام لهم فيطلبون من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مثل آلهتهم، ماذا يعني ذلك؟ وقبل أن نجيب على هذا التساؤل نذكر إجابة موسى عليه السلام عليهم كما قصَّها علينا ربنا عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠]. يقول لهم موسى عليه السلام متعجبًا من أمرهم ومستنكرًا عليهم: كيف تريدون أن تعبدوا آلهة أخرى غير الله، والله سبحانه هو الذي خلقكم وخلق جميع الخلق، وهو سبحانه أكرمكم بالنبوة والرسالة وفضلكم بها على العالمين في زمانكم، ومنَّ عليكم بنعم كثيرة مادية ومعنوية، ومنها نجاتكم من فرعون وقومه. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١]. وقال موسى عليه السلام لقومه محذرًا صنيع المشركين عبدة الأوثان: ﴿إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

والآن نعود للإجابة على سؤالنا الذي طرحناه: قوم بعث الله فيهم رسولاً منهم، بل رسولين، ومنَّ عليهم بالنجاة من عدوهم وأهلكه أمام أعينهم وهم ينظرون، ثم بعد قليل يمرون بسيناء على قوم يعبدون أصنامًا على هيئة عجل فيقولون لموسى: اجعل لنا أصنامًا مثل هذه الأصنام نتخذها آلهة ونعبدها!!

فساد اعتقاد (اليهود)

هذا الموقف من اليهود الذي وصفهم فيه موسى عليه السلام بالجهل، يدل على فساد عقيدتهم- إن لم يكونوا جميعًا، فالأعم الأغلب منهم- فهم قوم يعبدون المادة، ولا يؤمنون بالغيب.

وسيرتهم تدل على ذلك، فعندما دعاهم موسى عليه السلام لتحقيق الإيمان الصادق بالله، قالوا: أرنا الله جهرة!! قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل قوم موسى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ [البقرة: ٥٥].

فهم لا يصدقون بالغيب، لكنهم يريدون معاينة الله ورؤيته جهارًا نهارًا!! ومما يؤكد ذلك الأمر أنهم لم يقتنعوا بنصيحة موسى عليه السلام وتحذيره إياهم من فعل المشركين، وإن كانوا قد سكتوا مؤقتًا وظل الأمر معلقًا في قلوبهم، حتى انتهزوا فرصة غياب موسى عليه السلام وذهابه لميقات ربه، فصنعوا عجلاً من ذهب وعبدوه من دون الله، ويقصُّ الله سبحانه وتعالى علينا ذلك في كتابه الكريم، فيقول سبحانه: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

لا حول ولا قوة إلا بالله، انتهز القوم فرصة غياب موسى عليه السلام وصنعوا لأنفسهم عجلاً من ذهب، وجعل الصانع فيه فتحة يخرج منها الهواء ويدخل فتحدث صوتًا «خوارًا»، أين عقول القوم؟ ألا يرون أن هذا الصنم هم الذين صنعوه بأيديهم، وهو لا يسمع ولا يعقل ولا يهدي ولا ينفع ولا يضر، لا يملك لنفسه- فضلاً عن غيره- ضرًا ولا نفعًا، فكيف يعبدونه من دون الله تعالى؟ إنه الجهل في أحلك صوره، وإنه لظلم عظيم. ولم يكتف القوم بذلك، بل بلغت بهم البجاحة مبلغها، فقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]. انظر إلى عمى القلوب، لم يكتف القوم بعبادتهم العجل، بل تعجبوا من فعل موسى عليه السلام، وقالوا: أين يذهب موسى للقاء ربه، فهذا هو إلهكم وإله موسى، يقصدون أنّ العجل هو إلههم وإله موسى لكن موسى نسيه وذهب يبحث عن إله آخر!! سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وصل بهم الأمر إلى حدّ التشريع لموسى عليه السلام، وأنه يجب أن يتبعهم في باطلهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا أهل الجهل والباطل في كل زمان ومكان، يظنون أن باطلهم خير من الحق الذي جاء به الأنبياء، فيحتكمون إلى الباطل، ويتركون الحق الذي جاءت به الرسل.

لقد فسدت عقيدة اليهود منذ وجودهم مع موسى عليه السلام، ولم ينفعهم نصح موسى ولم يعتبروا بالآيات التي كانت تأتيهم من الله تترى، ذلك لأن حب المادة تغلغل في قلوبهم كما وصفهم ربنا عز وجل، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

وتأمل التعبير القرآني البليغ ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾ أي: بلغ حبُّهم لعبادة العجل كمن شرب الماء وتغلغل في أجزاء جسده، كذلك وصل حب المادة إلى أعماق قلوب هؤلاء القوم بسبب كفرهم بالله، وهذا تصريح واضح من القرآن الكريم على فساد اعتقاد بني إسرائيل منذ عهدهم الأول، إلا من رحم ربي منهم، وهم قليل.

وإذا كان هذا هو حالهم في عهودهم الأولى وقربهم من الأنبياء، فكيف يكون حالهم وقد خَلَفَتْ من بعدهم خلوف وخلوف؟ إن فساد الاعتقاد عند بني إسرائيل هو أصل فسادهم بعد ذلك في كل شيء في عباداتهم ومعاملاتهم وفي أخلاقهم، وصدق الله حين وصف حالهم بقوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، ونحن لا نبالغ إنْ قلنا: إن كلَّ فساد في الأرض اليوم يعود بسبب من أسبابه إلى اليهود، وسنوضح ذلك إن شاء الله فيما سيأتي من حلقات، والله المستعان.

شبهة والرد عليها

لكن رأيت قبل أن ننهي مقالنا هذا أن أورد شبهة قد ترد في أذهان البعض، ثم أحاول دفعها بالدليل فيما يلي بعون الله. وتدور الشبهة حول القصة التالية:

روى الترمذي في سننه وابن حبان وغيرهما بالسند إلى أبي واقد الليثي قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرجنا معه قِبَل هوازن، حتى مررنا على سدرة للكفار يعكفون حولها ويدعونها «ذات أنواط». فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾». ثم قال: «إنكم لتركبنَّ سنن من قبلكم».

وفي هذا الحديث يحذر الرسول ﷺ الصحابة من مشابهة اليهود في أي شيء ومن التماس البركة من غير الله.

ولهذا السبب قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع شجرة الرضوان ؛ خشية أن يتخذها الناس موضعًا بعد ذلك، وهو في ذلك يتأسى برسول الله ﷺ ويسدُّ ذرائع الشرك من كل باب.

والشبهة التي قد ترد في ذهن البعض من هذه القصة ؛ هو أن يتصور في الصحابة من وقع فيما وقعت فيه بنو إسرائيل، ويستدل بقول النبي ﷺ: «قلتم كما قالت بنو إسرائيل». وهذا الذي أردت التنبيه عليه، فالمشابهة هنا ليست من جميع الوجوه، وإن كان في الموقفين بعض التشابه أراد الرسول ﷺ أن يحذر منه.

- فبنو إسرائيل الذين قالوا لموسى هذا القول لم يكونوا حديثي عهد بإيمان، لكن الذين قالوا ذلك من الصحابة كانوا قريبي عهد بوثنية من الذين أسلموا يوم الفتح (حديث عهد بإسلام).

- بنو إسرائيل قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، لكن من قال ذلك من الصحابة قال: اجعل لنا ذات أنواط نعلق عليها أسيافنا التماسًا للبركة، كما كان يفعل القوم (فهي شجرة للتبرك بها).

- لكن بنو إسرائيل رأوا قومًا يعبدون أصنامًا على هيئة البقر أو العجل.

- من قال ذلك من الصحابة انتهى بعد نهي الرسول ﷺ ولم يفكر في الأمر مرَّة أخرى.

- لكن بنو إسرائيل ظلَّ حب العجل في قلوبهم حتى انتهزوا أول فرصة غاب فيها موسى ثم صنعوا لأنفسهم عجلاً عبدوه من دون الله، ولم يكتفوا بذلك- كما ذكرنا- بل قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي وذهب يبحث عن إله، وهذا هو إلهه وإلهكم. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فالأمر عند بني إسرائيل أمر اعتقاد متغلغل في قلوبهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهيئة راسخة في النفس تلازمهم إلى يوم القيامة.

- لكن الأمر بالنسبة لبعض الصحابة حديثي العهد بالإسلام كان من قبيل الخطأ الذي لم يتكرر، فشتان بين الموقفين.

ومع ذلك يحذر ﷺ بهذه اللهجة الحاسمة المحذرة حماية لجناب التوحيد، ووقاية من الوقوع في أي شبهة تنقص من كماله، وتحذيرًا من مشابهة اليهود في القليل أو الكثير، فهل وعى المسلمون الدرس؟

أسأل الله العلي الكبير أن يردنا إلى دينه ردًا حميدًا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التضامن الإسلامي

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله

التوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة، وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب لبيان هذا الحق، وتفصيله، والدعوة إليه، كما قال عز وجل: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومعنى قضى في هذه الآية: أمر ووصى، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ففي هذه الآيات الكريمات الأمر بعبادته سبحانه، والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها، والدعوة إليها، وحقيقة هذه العبادة، هي طاعة الله ورسوله ﷺ، بالإخلاص لله في جميع الأعمال، والامتثال لأوامره، والحذر من نواهيه، والتعاون في ذلك كله، وتوجيه القلوب إليه سبحانه، وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع، وإيمان وإخلاص، وصدق وتوكل عليه سبحانه، ورغبة ورهبة، مع القيام بالأسباب التي شرعها لعباده، وأمرهم بها، وأباح لهم مباشرتها، وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين وتنتظم مصالح العباد في أمر المعاش والمعاد، ولا صلاح للعباد، ولا راحة لقلوبهم، ولا طمأنينة لضمائرهم، إلا بالإقبال على الله عز وجل، والعبادة له وحده، والتعظيم لحرماته، والخضوع لأوامره، والكف عن مناهيه، والتواصي بينهم بذلك، والتعاون عليه، والوقوف عند الحدود التي حد لعباده، كما قال عز وجل: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ومن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم، ولا يهابهم عدوهم، إلا بالتضامن الإسلامي الذي حقيقته التعاون على البر والتقوى، والتكافل والتناصر، والتعاطف والتناصح، والتواصي بالحق، والصبر عليه، ولا شك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية، والفرائض اللازمة، وقد نصت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على أن التضامن الإسلامي بين المسلمين- أفرادًا وجماعات، حكومات وشعوبًا- من أهم المهمات، ومن الواجبات التي لا بد منها لصلاح الجميع، وإقامة دينهم، وحل مشاكلهم، وتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك.

والنصوص الواردة في هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جدًا، وهي وإن لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم، والأشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة، فالتضامن معناه التعاون والتكاتف، والتكافل والتناصر والتواصي، وما أدى هذا المعنى من الألفاظ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة، وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك أيضًا تعليم الجاهل، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، ورد الظالم عن ظلمه، وإقامة الحدود، وحفظ الأمن، والأخذ على يد المفسدين المخربين، وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجًا، وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية، والاتصالات السلكية واللاسلكية بينهم، لتحقيق المصالح المشتركة الدينية والدنيوية، وتسهيل التعاون بين المسلمين في كل ما يحفظ الحق، ويقيم العدل، وينشر الأمن والسلام في كل مكان، ويدخل في التضامن أيضًا: الإصلاح بين المسلمين، وحل النزاع المسلح بينهم، وقتال الطائفة الباغية حتى تفئ إلى أمر الله، عملاً بقول الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

ففي هذه الآيات الكريمات أمر الله المسلمين جميعًا بتقواه سبحانه، والقيام بالإصلاح بينهم عمومًا، وبالإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين منهم خصوصًا، وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها، وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والإنصاف لا على الميل والجور، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعًا إخوة وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم. فالإسلام يجمعهم، ويوحد بينهم، ويوجب عليهم العدل فيما بينهم، والتصافي والكف من عدوان بعضهم على بعض، ويوجب على إخوانهم الإصلاح بينهم إذا تنازعوا، ثم ختم الله سبحانه هذه الآية بالأمر بالتقوى، وعلق الرحمة على ذلك فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فدل ذلك على أن تقوى الله في كل الأمور، هي سبب الرحمة، والعصمة، والنجاة، وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة.

ويدخل في التضامن أيضًا تبادل التمثيل السياسي، أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية، لقصد التعاون على الخير، وحل المشاكل التي قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية، واختيار الرجال الأكفاء في عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة.

ويدخل في التضامن أيضًا توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع، وسعادة الجميع، في أمر الدين والدنيا، وتطهيرها مما يضاد ذلك، ومما ورد في هذا الأصل الأصيل- وهو التضامن الإسلامي والتعاون على البر والتقوى- قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته، ويستمروا على ذلك، ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك، وما ذاك إلا لما في تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، وإعداد العبد لأن يكون صالحًا مصلحًا، وهاديًا مهديًا، باذلا النفع لإخوانه، كافًا للأذى عنهم، معينًا لهم على كل خير، ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله سبحانه هو دينه الذي أنزل به كتابه الكريم، وبعث به رسوله الأمين، محمدًا ﷺ، والاعتصام به هو التمسك به، والعمل بما فيه، والدعوة إلى ذلك، والاجتماع عليه، حتى يكون هدف المسلمين جميعًا، ومحورهم الذي عليه المدار، ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله، وتحاكمهم إليه، وحل مشاكلهم على نوره وهداه، وبذلك تجتمع كلمتهم، ويتحد هدفهم، ويكونون ملجأ لكل مسلم في أطراف

منيعة، وحصنًا حصينًا ضد أعدائهم. وبهذا الاجتماع، وهذا الاتحاد، وهذا التضامن، تعظم هيبتهم في قلوب أعدائهم، ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل، ويحفظهم سبحانه من مكائد العدو- مهما كانت كثرته- كما وقع ذلك (بالفعل) لنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وأتباعهم بإحسان في صدر هذه الأمة، ففتحوا البلاد، وسادوا العباد، وحكموا بالحق، وحقق الله لهم وعده الذي لا يخلف كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ففي هذه الآيات الكريمات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم، والقيام بنصره، وذلك هو نصر الله، فإنه سبحانه وتعالى في غاية الغنى عن عباده، وإنما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه، والله ناصر من نصره، وخاذل من خذله، وهو القوي العزيز. وفي هذه الآيات أيضًا البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره، ويستخلفه في الأرض، ويمكن له، ويحفظه من مكائد الأعداء.

فالواجب على المسلمين جميعًا أينما كانوا هو الاعتصام بدين الله، والتمسك به، والتضامن فيما بينهم، والتعاون على البر التقوى، ومناصحة من ولاه الله أمرهم، والحذر من أسباب الشقاق والخلاف، والرجوع في حل المشاكل إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، والتواصي في ذلك كله بالحق والصبر عليه، مع الحذر من طاعة النفس والشيطان، وبذلك يفلحون وينجحون، ويسلمون من كيد أعدائهم، ويكتب الله لهم العز والنصر، والتمكين في الأرض، والعاقبة الحميدة، ويؤلف بين قلوبهم، وينزع منها الغل والشحناء، وينجيهم من عذابه يوم القيامة، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» أخرجه مسلم في صحيحه.

ومما ورد في التضامن الإسلامي قوله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وهذه الآية الكريمة من أصرح الآيات في وجوب التضامن الإسلامي، الذي حقيقته ومعناه التعاون على البر والتقوى كما سلف بيان ذلك، وفيها تحذير المسلمين من التعاون على الإثم والعدوان، لما في ذلك من الفساد الكبير، والعواقب الوخيمة، والتعرض لغضب الله سبحانه، وتسليط الأعداء، وتفريق الكلمة، واختلاف الصفوف، وحصول التنازع المفضي إلى الفشل والخذلان- نسأل الله للمسلمين العافية من ذلك. وفي قوله سبحانه في ختام الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] تحذير للمسلمين من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه، فينزل بهم عقابه الذي لا طاقة لهم به.

ومن الآيات الواردة في التضامن أيضًا قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وهذه الصفات العظيمة هي جماع الخير، وعنوان السعادة، وسبب صلاح أمر الدنيا والآخرة، ولهذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم على هذه الصفات الجليلة فقال: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فتبين بذلك أن الرحمة والنصر على العدو، وسلامة العاقبة، كل ذلك مرتب على القيام بحق الله وحق عباده، ولا يتم ذلك إلا بالتناصح، والتعاون، والتضامن، والصدق في طلب الآخرة، والرغبة فيما عند الله، والإنصاف من النفس، وتحري سبيل العدل، وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، ويقول عز وجل في سورة المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، وفي هاتين الآيتين أمر المؤمنين أن يقوموا لله بالقسط، وأن يشهدوا له بذلك في حق العدو والصديق، والقريب

والبعيد، وتحذيرهم من أن يحملهم الهوى أو البغضاء على خلاف العدل، وأوضح سبحانه أن العدل هو أقرب للتقوى، فدل ذلك على أنه لا صلاح للمسلمين فيما بينهم، ولا استقامة، ولا وحدة كلمة، إلا بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

ولما أخل المسلمون بهذا الأمر العظيم حصل بينهم من الشحناء والفرقة والاختلاف اليوم ما لا يخفى على أحد، ولا علاج لذلك ولا دواء له إلا الرجوع إلى دين الله، والاعتصام به، والعمل به، وتحكيمه، والتحاكم إليه في كل ما شجر بينهم، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

ومما ورد من الأحاديث الشريفة في التضامن الإسلامي الذي هو التعاون على البر والتقوى قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قيل لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» أخرجه مسلم في صحيحه، وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه، وقوله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد والسهر» أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحيهما. فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين، والتراحم، والتعاطف، والتعاون على كل خير، وفي تشبيههم بالبناء الواحد، والجسد الواحد، ما يدل على أنهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم، وينتظم صفهم، ويسلمون من شر عدوهم، وقد قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وإمام الجميع في هذه الدعوة الخيرة وقدوتهم في هذا السبيل المقيم، هو نبيهم وسيدهم وقائدهم الأعظم، نبينا محمد رسول الله ﷺ، فهو أول من دعا هذه الأمة إلى توحيد ربها، وبالاعتصام بحبله، وجمع كلمتها على الحق، والوقوف صفًا واحدًا في وجه عدوها المشترك، وفي تحقيق مصالحها وقضاياهم العادلة، عملاً بقوله تعالى خطابًا له: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقد سار على نهجه القويم، صحابته الكرام، وأتباعهم بإحسان رضي الله عنهم وأرضاهم، فنجحوا في ذلك غاية النجاح، وحقق لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر، كما سبق التنبيه على ذلك والإشارة إليه في أول هذه الكلمة.

ولا ريب أن الله عز وجل إنما حقق لهم ما تقدمت الإشارة إليه بإيمانهم الصادق، وجهادهم العظيم، وأعمالهم الصالحة، وصبرهم ومصابرتهم، وصدقهم في القول والعمل، وتضامنهم وتكاتفهم في ذلك، لا بأنسابهم ولا بأموالهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وكما قال النبي ﷺ: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» أخرجهما مسلم في صحيحه فمن سار على سبيله ونهج نهجهم، أعطاه الله كما أعطاهم، وأيده كما أيدهم، فهو القائل عز وجل في كتابه المبين: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ. يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]، وهو القائل سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣]، وهو القائل عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والله عز وجل هو المسئول أن يجمع المسلمين على الهدى، وأن يفقهم في دينه، وأن يصلح ولاة أمرهم، ويهديهم جميعًا صراطه المستقيم وأن يمنحهم الصدق في التضامن بينهم، والتناصح والتعاون على الخير، وأن يعيذهم من التفرق والاختلاف، ومضلات الفتن، وأن يحفظهم من مكائد الأعداء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

من أخبار الجماعة

بعد أدائه لفريضة الحج ، سافر فضيلة الشيخ : محمد صفوت نور الدين ، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية إلى قطر، وذلك لتمثيل مصر في المؤتمر العالمي للمنظمات غير الحكومية الناشطة في الدول الأعضاء لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة.

وقد تم اختيار جماعة أنصار السنة المحمدية لهذا التمثيل في مؤتمر الهيئات والمنظمات غير الحكومية العاملة في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول أعضاء المؤتمر الإسلامي، والذي عُقد بالدوحة خلال الفتر من ٤ إلى ٦ من مارس ٢٠٠٢م.

وبعد حضوره المؤتمر توجه فضيلة الشيخ إلى البحرين في زيارة دعوية تمتد إلى السبت القادم، يعود بعدها فضيلته إلى مصر بإذن الله تعالى.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد ترجو من الله لفضيلته السداد والتوفيق.

التقويم الهجري [illegible] مجلة التوحيد

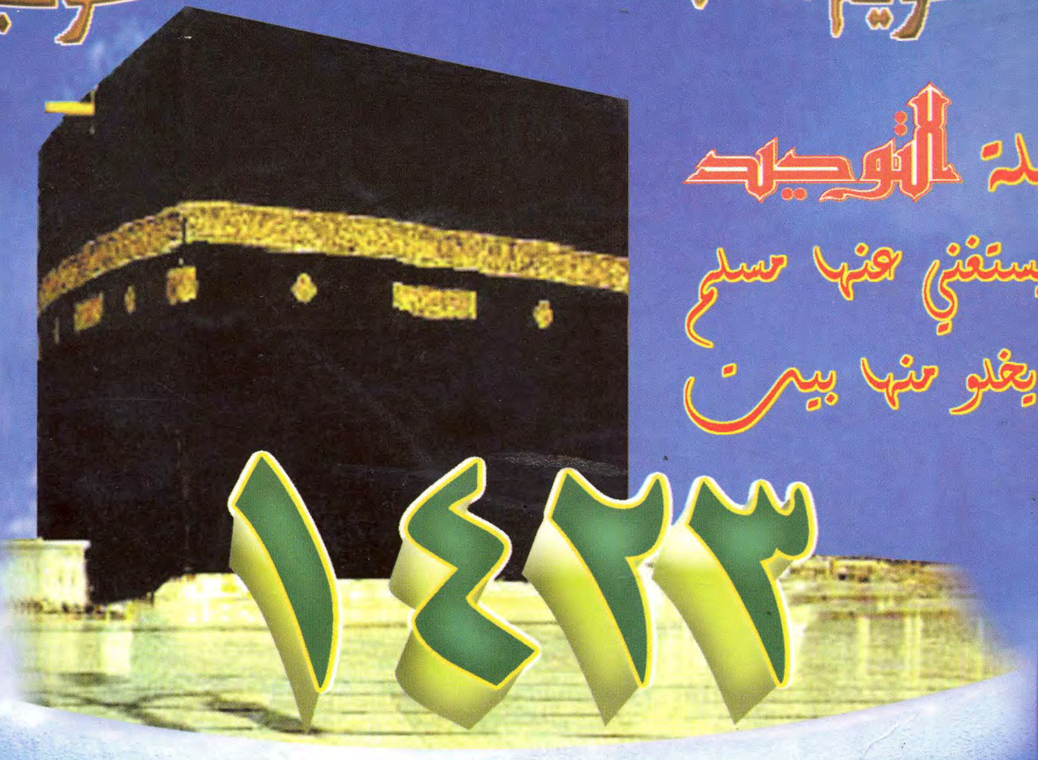

مجلة التوحيد
لا يستغني عنها مسلم
ولا يخلو منها بيت

المحرم

السبت		٢	٩	١٦	٢٣	٣٠
الأحد		٣	١٠	١٧	٢٤	
الاثنين		٤	١١	١٨	٢٥	
الثلاثاء		٥	١٢	١٩	٢٦	
الأربعاء		٦	١٣	٢٠	٢٧	
الخميس		٧	١٤	٢١	٢٨	
الجمعة	١	٨	١٥	٢٢	٢٩	

صفر

السبت		٧	١٤	٢١	٢٨
الأحد	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الاثنين	٢	٩	١٦	٢٣	
الثلاثاء	٣	١٠	١٧	٢٤	
الأربعاء	٤	١١	١٨	٢٥	
الخميس	٥	١٢	١٩	٢٦	
الجمعة	٦	١٣	٢٠	٢٧	

ربيع الأول

السبت		٦	١٣	٢٠	٢٧
الأحد		٧	١٤	٢١	٢٨
الاثنين	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الثلاثاء	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠
الأربعاء	٣	١٠	١٧	٢٤	
الخميس	٤	١١	١٨	٢٥	
الجمعة	٥	١٢	١٩	٢٦	

ربيع الآخر

السبت		٤	١١	١٨	٢٥
الأحد		٥	١٢	١٩	٢٦
الاثنين		٦	١٣	٢٠	٢٧
الثلاثاء		٧	١٤	٢١	٢٨
الأربعاء	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الخميس	٢	٩	١٦	٢٣	
الجمعة	٣	١٠	١٧	٢٤	

جمادى الأولى

السبت		٣	١٠	١٧	٢٤
الأحد		٤	١١	١٨	٢٥
الاثنين		٥	١٢	١٩	٢٦
الثلاثاء		٦	١٣	٢٠	٢٧
الأربعاء		٧	١٤	٢١	٢٨
الخميس	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الجمعة	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠

جمادى الآخرة

السبت	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الأحد	٢	٩	١٦	٢٣	
الاثنين	٣	١٠	١٧	٢٤	
الثلاثاء	٤	١١	١٨	٢٥	
الأربعاء	٥	١٢	١٩	٢٦	
الخميس	٦	١٣	٢٠	٢٧	
الجمعة	٧	١٤	٢١	٢٨	

رجب

السبت		٧	١٤	٢١	٢٨
الأحد	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الاثنين	٢	٩	١٦	٢٣	
الثلاثاء	٣	١٠	١٧	٢٤	
الأربعاء	٤	١١	١٨	٢٥	
الخميس	٥	١٢	١٩	٢٦	
الجمعة	٦	١٣	٢٠	٢٧	

شعبان

السبت		٦	١٣	٢٠	٢٧
الأحد		٧	١٤	٢١	٢٨
الاثنين	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الثلاثاء	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠
الأربعاء	٣	١٠	١٧	٢٤	
الخميس	٤	١١	١٨	٢٥	
الجمعة	٥	١٢	١٩	٢٦	

رمضان

السبت		٤	١١	١٨	٢٥
الأحد		٥	١٢	١٩	٢٦
الاثنين		٦	١٣	٢٠	٢٧
الثلاثاء		٧	١٤	٢١	٢٨
الأربعاء	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الخميس	٢	٩	١٦	٢٣	
الجمعة	٣	١٠	١٧	٢٤	

شوال

السبت		٣	١٠	١٧	٢٤
الأحد		٤	١١	١٨	٢٥
الاثنين		٥	١٢	١٩	٢٦
الثلاثاء		٦	١٣	٢٠	٢٧
الأربعاء		٧	١٤	٢١	٢٨
الخميس	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الجمعة	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠

ذو القعدة

السبت	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الأحد	٢	٩	١٦	٢٣	
الاثنين	٣	١٠	١٧	٢٤	
الثلاثاء	٤	١١	١٨	٢٥	
الأربعاء	٥	١٢	١٩	٢٦	
الخميس	٦	١٣	٢٠	٢٧	
الجمعة	٧	١٤	٢١	٢٨	

ذو الحجة

السبت		٦	١٣	٢٠	٢٧
الأحد		٧	١٤	٢١	٢٨
الاثنين	١	٨	١٥	٢٢	٢٩
الثلاثاء	٢	٩	١٦	٢٣	٣٠
الأربعاء	٣	١٠	١٧	٢٤	
الخميس	٤	١١	١٨	٢٥	
الجمعة	٥	١٢	١٩	٢٦	